د. سامى أبو ذكرى

ثمن الغـــربة

مجموعة قصصية

الإهداء

إلى روح أمى الحبيبة
التى لم أشعر بمعنى اليتم الحقيقى إلا بفقدها

سامى

الكتاب : ثمن الغربة
المؤلف : د. سامي أبو ذكرى
نوع الكتاب : مجموعة قصصية
الناشر : دار قراءة للنشر والتوزيع
ت : 5842136 ـ 7408117
- E.Mail samiradELftah @ ya hoo. com
الطبعة الأولى : القاهرة 2007
رقم الإيداع بدار الكتب: 2007/20696
تصميم الغلاف وفصل الألوان:
Out Look
21 شارع 26 يوليو . المهندسين .
ت : 33444948
الجمع : الالكتروني:
- عبد الوهاب محمد
صورة الغلاف للفنان العالمي:
- جيبور فازارى

سالم والبذلة الجديدة

ذهب سالم إلى عمله فى شركة المقاولات التي يعمل بها فى وسط البلد ، واستقل المترو من أمام منزله بمصر الجديدة فكان يسكن فى شقة جميلة بالإيجار ورثها عن ابويه وقد تزوج فيها وأنجب طفليه من زوجته وكان يعمل محاسباً بالشركة وكان مرتبه مع الحوافز يمكناه من مواصلة الحياة كان "سالم" دائما يشعر بأنه لم يأخذ حقه فى الحياة فقد كان ينحدر من عائلة ميسورة فالأب كان وكيلا للوزارة والأم كانت تعمل بالتدريس وكانت رواتبهما فى هذا الوقت كافية لكي تحيا أى أسرة حياة مرفهة نظرا لرخص الأسعار وقتها وقد سكن فى "مصر الجديدة" إلى أن ورث ابنها الوحيد "سالم" هذه الشقة بعد وفاتهما وقد قام بتعليمه وتخرجه من كليه التجارة وعمل محاسبا لم يستطع

سالم أن يسيطر على الشعور الذي بداخله بأنه أفضل من الجميع، وكان دائما يتباهى أمام زملائه بالشقة التي يسكن بها وأنه كان قد تعلم بالمدارس الخاصة وأن أبوه كان يشغل وظيفة كبيرة وان أمه من رواد التعليم وكان يتعامل مع زملائه بشيء من الكبر.

اشترى "سالم" بذلة أنيقة بعد أن قبض راتبه وذهب إلى عمله مستقلا تاكسي فهو لا يريد أن تتأثر البذلة بركوبه للمترو نظرا للزحام وكان مختالا بنفسه وأخذ يفكر وهو فى طريقه إلى العمل كيف سيكون وقع أناقته الواضحة عن زملائه فهو الآن سوف يتباهى أمامهم بأنه مختلف عنهم ولن يسخروا منه فيما بينهم لأنه كثيرا ما كان يتحدث عن نفسه أمامهم فخورا بأصله وإمكانياته .

دخل " سالم" المكتب على زملائه وسلم عليهم واحدًا تلو الآخر وكانت المفاجأة الكبرى بأن أحداً منهم لم يعره انتباها، ولم يعلق على البذلة الجديدة التي يرتديها وزادت دهشته أكثر عندما رأى كل زملائه ملتفين حول أحد الموظفين وقد ارتدى قميصا جديدا والكل يبارك له

ويسألونه بإلحاح من أى مكان قد اشتراه وكم سعره؟ ثم كانت المفاجأة الثانية عندما دخل عم "شعبان" فراش المصلحة وقام بتسليم كلا منهم دعوة بزواج ابنه وتجاهل سالم.

استشاط سالم غضبا وشعر أنه منبوذ وأخذ يفكر ويحاول معرفة سبب تغير زملائه تجاهه وأخذ يسترجع ذكرياته وتذكر عندما كان الموظفون يقومون بجمع نقود من بعضهم البعض لمساعدة زميل لهم عند الزواج أو لعلاج أحد زملائهم أو لتهنئة زميله عند ولادتها أو أى شىء من هذا القبيل فكان يرفض المساهمة والتعاون معهم وتذكر أيضا عندما كانوا يجمعون نقودا فيما بينهم ليتناولوا طعام الإفطار فكان يرفض التعاون بل كان يرفض الإفطار معهم بحجة أن زوجته تقوم بتجهيز الزبادي والمربى والبيض والنسكافيه صباحا له قبل أن يأتي للعمل وأن معدته لا تقوى على هضم الفول والطعمية لأنه لم يتعد عليها فهو سليل أسرة عريقة لها نظامها الخاص وتذكر أيضا عندما دعته إحدى زميلاته لحضور زفاف أختها على سطح البناية التي

يعيشون فيها بالحي الشعبي فأخذ يسخر منها قائلا لها بأنه لا يذهب إلا للأفراح التي تقام في الفنادق الكبرى وكان يرفض تماما زيارة أى زميل أصابه مرض وكان لا يقوم بواجب العزاء لأي أحد من زملائه، باختصار شديد كانت كل تصرفاته تتسم بأنانية مطلقة وها هو الآن يجنى ثمار أسلوبه فى التعامل مع زملائه

كان "سالم" فى حالة هجوم واضح، وشعر بندم شديد على ما فعله مع زملائه وقرر أن يتغير تماما فهب من مقعده واقفا وذهب إلى عم "شعبان" الفراش واحتضنه بشدة مهنئا إياه بزواج ابنه وطلب منه دعوة له ولزوجته ليحضرا زفاف ابنه وكانت هذه بداية البداية.

القلب وما يريد

استيقظت "آمال" على صوت جلبة شديدة بالحارة التي تقطن بها وفتحت الشباك ونظرت منه فرأت مجموعة من الشباب يتشاجرون ويتعاركون بالأيدى مع السباب والصياح أغلقت الشباك بعنف وتمتمت بصوت خفيض داعية الله أن يتوب عليها من السكن فى هذه الحارة الشعبية الكائنة بحى بولاق الدكرور؛ وكانت "آمال" طالبة بكلية الطب وكعادة طلبة الطب فهى دائماً من المتفوقات فى جميع مراحل التعليم وكانت تحلم دائماً بأن تكون متفوقة ومتميزة وكانت البنت الكبرى فكان لها أخ بكلية الهندسة وآخر بالثانوية العامة وبنت صغيرة بالشهادة الإعدادية.

كان أبوهم يعمل مفتشاً بالسكة الحديد وكان مرتبه مع الحوافز يجعله يعيش حياة متوسطة وكان محباً لأبنائه ويحاول إسعادهم بشتى الطرق.

كانت "آمال" متفوقة فى دراستها وكانت تحلم بأن تكون معيدة بالكلية ومتخصصة فى طب الأطفال وكان زملاؤها بالكلية يحبونها نظراً لتفوقها وأدبها وروحها الحلوة.

وكان من بين المجموعة زميلها "فؤاد" الذى كان يكن لها مشاعر خاصة وكانت تبادله هى الأخرى نفس المشاعر ولكن فى صمت وكان بينهما اتفاق ضمنى على الارتباط بعد التخرج وكان "فؤاد" من عائلة ميسورة والده كان يعمل أستاذاً بالكلية وكان صاحب عيادة ناجحة ويمتلك مستشفى معروفاً بمنطقة المهندسين.

كانت آمال تذهب إلى الكلية بالمواصلات وكان "فؤاد" يلح عليها كثيراً للقيام بتوصيلها عند العودة من الكلية ولكنها كانت ترفض بإصرار وبلطف حتى لا تجرح مشاعره وكانت حريصة على ألا ينفرد بها وأن يكون حديثهما ولقاؤهما وسط مجموعة من الزملاء لأنها كانت تخشى على سمعتها وكانت دائماً تردد بينها وبين نفسها أن من يريدها لابد أن يذهب أولا إلى البيت وفى نفس الوقت كانت تعلم بأن هناك فارق كبير بينها وبين "فؤاد" من

المؤكد أنه سيجد معارضة كبيرة من أهله لو أراد الارتباط بآمال لأن ظروفه الاجتماعية والمادية تسمح له بأن يرتبط بأى بنت يختارها وسيُلبي طلبه على الفور.

وظهرت نتيجة البكالوريوس وتخرج "فؤاد" بتقدير امتياز وتخصص فى أمراض القلب بعد أن عُين نائباً وأخذ يستعد للحصول على درجة الماجستير واستطاعت أيضاً "آمال" أن تكون نائبة بقسم الأطفال وبدأت أحلامها تتحقق؛ تحدث "فؤاد" مع "آمال" وطلب منها أن يزورها فى منزلها ليتعرف على عائلتها ويمهد لوالدها فكرة ارتباطه بها فرحبت "آمال" على الفور؛ وأتى الموعد وتحدث "فؤاد" مع والدها طالباً يد ابنته فوافق والدها على الفور بشرط أن يأتي أبواه معه فى المرة القادمة فأومأ "فؤاد" رأسه بالموافقة وقد بدا على وجهه بعض الحيرة فهو يعلم فى قرارة نفسه أنه سيجد صعوبة بالغة فى إقناع والديه بالموافقة على زواجه من "آمال"؛ تحدث "فؤاد" مع والديه فى موضوع زواجه الذى قوبل برفض عنيف وعبثاً حاول والديه إقناعه بالعدول عن الارتباط بـ "آمال" وأخذ والده يتحدث معه قائلاً له أن مشاعره لـ "آمال" سوف تخبو مع الوقت وأن

مستقبله وعمله أهم من كل شيء وأن النساء جميعاً سواء وطالما اقتنع بهذا المبدأ فليختار واحدة من وسطه وأخذت أمه تعنفه على اختياره قائلة له بأن أحلامها قد انهارت فهى كانت قد اختارت له بنتا جميلة وغنية ووالدها كان وزيراً وعضواً فى مجلس الشورى وكانت تنتظر اليوم الذى سوف يتخرج فيه كى يتم فرحتها بزواجه ورؤية أحفادها.

تحدث معها "فؤاد" وحاول إقناعها بأن السعادة ليست بالمال أو الحسب بل السعادة تتم بالتفاهم والتناغم بين الطرفين وأنه على يقين تام بأن "آمال" هى التى سوف تسعده؛ وانتهت المناقشة بتهديد أبويه له بأنهما سوف يقاطعانه ولن يتعاونا معه فى زواجه وأن ينساهما إذا أصر على موقفه؛ خرج "فؤاد" حزيناً وذهب إلى أحد الدعاة ليأخذ مشورته وهل طاعة الوالدين فى هذه الحالة واجبة فتحدث معه الرجل وأخبره إذا كانت الشروط متوفرة فى عروسه وهي الطاعة والتدين فعليه أن يحاول مرة ومرة مع والديه ولا ييأس أبداً وبمشيئة الله سيكون الحق حليفه وسيفوز بالتى اختارها قلبه.

تحدث "فؤاد" مع "آمال" وأخبرها بما حدث ورجاها أن

تنتظر فترة كي يقنع والديه فأجابت على الفور بأنها مستعدة لانتظاره طول العمر وطلب منها أن تخبر أباها بما حدث وسوف يأتى الوقت المناسب ليتم كل شىء وبموافقة الجميع ومباركة الأهل.

كانت "آمال" تعمل فى المستشفى الجامعى صباحاً وفى المساء كانت تعمل بإحدى المستشفيات الخاصة وكانت محط الأنظار من زملائها الأطباء الشباب نظراً لتفوقها وجديتها فى العمل وعرض عليها أكثر من زميل الارتباط بها ولكنها كانت ترفض بإصرار لأن قلبها كان مع "فؤاد" حلم عمرها.

أخذ "فؤاد" يحاول مع والديه بإصرار وعزيمة حتى ينتزع موافقتهما ولكن هيهات فكان رفضهما أن يرتبط ابنهما بـ "آمال" واضح وصارم.

كان فؤاد فى حيرة شديدة فكان لا يعرف هل يرضى نفسه ويتزوج "آمال" أم يرضى والديه ويتزوج بالفتاة التى اختارها له وبسبب كثرة تفكيره أصبح شارداً وذبل وجهه وانخفض وزنه ولاحظ والديه ذلك ولم يعلقا على أمل أن تكون هذه فترة سوف تمر؛ وفى أحد الأيام دق جرس

التليفون ورد والده على الفور وأخبره المتحدث بأن ابنه قد أصيب إصابة بالغة وهو يقود سيارته فقد اصطدم بإحدى سيارات النقل وأقسم السائق بأن "فؤاد" كان فى حالة شرود بالغ وأنه لم يستجب لآلة التنبيه كأنه أصم فهرول والداه إلى المستشفى فى الحال وهما فى قمة الفزع فوجدا ابنهما والجبس مشدود على يديه ورجليه فانزعجا انزعجا شديداً؛ ووجدا فتاة جميلة عنده تقوم بالإشراف على علاجه باهتمام بالغ وتنظر إليه فى حب وحنان كأن المصاب هو وليدها فسألا عنها فعرفا أنها الدكتورة "آمال" فانشرح قلبيهما عندما رأياها وسُرا عندما رأيا مدى اهتمامها بابنهما وبعد قليل سمعا جلبة فى الخارج فرأيا رجلاً وزوجته وابنهما يدخلون الغرفة وهم فى حالة هلع ولهفة للاطمئنان على "فؤاد" كأنه واحد منهم وعرفا أنهم أهل "آمال" فنظرا إلى بعضهما وهما فى حالة امتنان وتمتما فى صوت واحد "لقد وجدنا عائلة أخرى لابننا تحبه كما نحبه وتخاف عليه كما نخاف عليه" فأحسا بسعادة غامرة وباركا زواج "آمال" من ابنهما على الفور وقالا فى صوت خفيض "الخيرة فى ما اختاره الله".

عودة شهيد

كـان السـكون مخيمـا علـى المكـان فقـد أرخـى الليـل سدوله وكان النوم هو العنوان الرئيسي لكل مـا فـى المنـزل فنحن الآن فى شهر يناير 1975 وكان البرد قارصا وكنت أسـرة "عبد الحميد" تعيش بحي مصـر القديمـة وكـان المنـزل يسـكنه الحـزن ويمـلأ جوانبـه لأن الأخ الأكـبر "أسـامة" قـد جنـد فـى الجيش فـى مـايو 1973 بعـد تخرجـه مـن كليـة الهندسة ولم يعد حتى الآن وقد انتهت الحرب منذ أكثر من عـام ولا توجـد أى أخبـار عنـه فـلا يعـرف إن كـان فـى عـداد المفقودين أم المصابين وهل أسـر أم استشهد كل ذلك فى علم الغيب وكـان "عبد الحميد" يطـرق كـل الجهـات الحكوميـة والعسـكرية باحثـا عـن ولـده ولم يتلق أى إجابـة تهـدىء مـن روعـه كـان فـى حالـة حـزن مسـتمر وكـان أخواتـه جميعـا

يشعرون بأن هناك شيئا هاما ينقصهم وغاب الضحك والمرح عن المنزل وبعد وقت طويل يأس "عبد الحميد" وزوجته واعتبروا ابنهم من الشهداء لأنهم يؤمنون بالمقولة الشهيرة "وقوع البلاء ولا انتظاره" وفى وسط كل هذه الأحداث والجميع نيام دق جرس المنزل بعنف فقام "عبد الحميد" وزوجته "وجيدة" "فزعا من النوم لمعرفة من يطرق عليهم الجرس بعنف فى هذا الوقت وعندما قام "عبد الحميد" بفتح الباب وقف مذهولا وهو ينظر إلى القادم ولم يصدق نفسه وأخذ قلبه يدق بعنف فالذي كان على الباب هو ابنه "أسامة" فهلل بفرح وأخذ يحتضن ابنه بعنف ثم أتت أمه التي كادت أن يغمى عليها من شدة الفرح واحتضنت ابنها وأخذت تمطره بالقبلات وهى تبكى بكاء مسموعا يقشعر له الأبدان فنحن نرى الآن الأم الثكلى وفى لحظة واحدة لم تعد الثكلى ثم هب أخواته من فراشهم واندفعوا نحو أخيهم وهم فى قمة السعادة وبعد أن كان الهدوء والسكون سيدا الموقف امتلأ البيت بالضجيج والضحكات حتى البناية كلها استيقظت على صوت الجلبة الشديدة التي حدثت

بحضور أسامة وأخذ الجميع يهنئون أسامة بعودته بالسلامة ويهنئون أبويه برجوع ابنهما سالما بعد أن فقدا كل الأمل فى عودته ثم عاد كل منهم إلى منزله فصاح "عبد الحميد" فى زوجته طالبا منها أن تدخل المطبخ وتجهز أحلى طعام لابنها فلبت طلبه على الفور فاستأذن "أسامة" أبويه وأخواته ليأخذ حماما ساخنا ثم يأتي ويقص عليهم كل شيء.

انتهى "أسامة" من حمّامه وجلس مع أبويه وأخوته وأخذ يقص عليهم ما حدث فبعد أن جند فى الجيش التحق بمركز التدريب وبعد انتهاء فترة التدريب كانت القوات المسلحة تعد للحرب فى سرية تامة فلم يستطع أن يأخذ أجازة ثم كانت الحرب فى 6 أكتوبر 1973وكان فى سلاح المهندسين الذى كان له الدور الأساسى فى تحطيم خط بارليف وكانت الكتيبة التي التحق بها فى مقدمة الصفوف الأولى وبعد تحطيم خط بارليف بدأت معركة الدبابات وكان التفوق المصري واضحا وكان القتال ضاريا وفى لحظة أصيب الموقع الموجود به ولم يدر بنفسه إلا وهو مربوط بجبائر فى جميع أنحاء جسده وكان يشعر بألم فظيع

وكانت ملامح وجهه قد تغيرت إلى حد كبير بسبب كثرة الشظايا التي أصابته فقد كان يعالج بمستشفى السويس العسكري وهو الآن لا يتذكر أى شيء فقد فَقْد ذاكرته تماما وعندما يسأل عن اسمه أو عنوانه لا يستطيع أن يرد وبعد فترة ليست بالقليلة أخذ يستعيد عافيته وأصبح يسير على عكازين ثم بالعلاج الطبيعي وبعض التمارين استطاع أن يتخلص من العكازين وأصبح يسير ببطء رويدا رويدا حتى تحقق له الشفاء الكامل من الناحية العضوية ولكن المشكلة الكبرى هى الذاكرة فهو لا يعرف أى شيء عن اسمه أو عنوانه أو عائلته ثم خرج من المستشفى وأخذ يبحث عن عمل لكى يعيش منه والتحق بالعمل جرسونا بإحدي المقاهي الشعبية فى مدينة السويس واندمج فى العمل وكان الزبائن يحبونه وكانوا ينادونه باسم "أمين" وهو الاسم الذى اختاره لنفسه وكان كل من حوله يتهامسون فيما بينهم لأن أسامة يتحدث معهم بأدب شديد وهيئته لا تدل على أنه شخص ذو تعليم بسيط يمتهن حرفة لا تحتاج مواصفات خاصة وكان سعيدا بعمله على الرغم من قلة الدخل وكان

يحدث نفسه كثيرا ويحاول أن يعرف حقيقة أمره وماذا يعمل ولكن هيهات فقد نسى كل شيء .

وفى أحد الأيام وأسامة يعمل بالمقهى وهو فى قمة النشاط قامت معركة كبيرة بين زبائن المقهى لخلاف على لعبة الطاولة واشتدت المعركة وأخذ بعضهم يرمى كراسي المقهى على خصومه فخاف "أسامة"على مقتنيات المقهى فتدخل لحل الموقف وكان من نصيبه ضربة قوية بالعصا على رأسه فوقع فى الأرض مغشيا عليه والدماء تتدفق منه بغزارة ففزع المتعاركون من هول الموقف ونقلوه فورا إلى المستشفى وتم نقل دم له وظل فى غيبوبة لمدة ثمانية وأربعين ساعة ثم استيقظ فجأة فالتف حوله أحباؤه من زبائن المقهى وصاحب المقهى قائلين له: حمد لله على سلامتك يا "أمين" فرد عليهم باندهاش قائلا لهم من هو "أمين" فأنا اسمي "أسامة" وأنا مجند بالقوات المسلحة وأنا الآن لا أتذكر إلاّ وقت المعركة وقد أصبت وها أنا الآن فى المستشفى أتعالج من إصابة الحرب فرد عليه الجميع بحب وفرحة قائلين له الحمد لله لقد استعدت ذاكرتك وكنا جميعا نشعر بأنك

شخص آخر غير "امين" لأن أدبك الجم وأسلوبك فى الحديث يدل على انك تنحدر من أسرة مثقفة اندهش "أسامة" لحديثهم فهو كان نسى كل شيء وحمدا لله على سلامته وفرح فرحا شديدا عندما أيقن بنجاح قواتنا المسلحة فى عبور القناة والنصر على العدو .

إن كبر ابنك خاويه

عاد "فاروق" مبكراً من عمله وقام بوضع دراجته البخارية التى يمتطيها (الفسبا) أمام منزله صعد السلالم وهو فى قمة النشاط لأنه كان قد اتفق مع زوجته "سيدة" على أن تعد له طاجن البامية باللحم الذى يعشقه مع أرز الشعرية وطبق السلطة وكان قد أحضر معه بطيخة كبيرة وكان متلهفاً لوضعها فى الثلاجة حتى يتناولها بعد الغداء فما ألذ البطيخ المثلج فى الصيف وكان "فاروق" لديه خمسة من الأولاد ثلاثة بنات وولدين وكانت زوجته حاملا فى طفل سادس وكان يعمل موظفاً بمصلحة الضرائب وفى نفس الوقت كان يعمل على تحسين دخله بالتجارة فى الخردوات بإحضار بضاعة من أماكنها ثم بيعها لمحلات التجزئة مستخدما "الفسبا" التى يمتلكها فى تنقلاته وتوزيع البضاعة وكان هذا العمل يدر عليه دخلا وأن كان ليس بالكثير فهو يعينه على المعيشة

وكان يتميز بقوة الشخصية وكان يتعامل مع أولاده بصلابة بالغة فكان لا يعاقب أولاده وبناته بمنع المصروف عنهم أو توبيخهم أو أى شيء من هذا القبيل ولكن كان يضربهم بيده وبقدميه وأحياناً بخرطوم يقتنيه وعلى الرغم من حبه الشديد لهم ولكن قسوة الظروف الاقتصادية وصعوبة الحياة فى ذلك الوقت فى أواخر الستينيات من القرن العشرين كانت تجعله عصبياً على الدوام وكانت البنت الكبرى "منيرة" تدرس فى المرحلة الإعدادية وكان مستواها العلمى أقل من المتوسط وعندما كانت تخطىء فى حل أى مسألة حسابية كان مصيرها الصفع بالأقلام من والدها وعموماً مرت السنون وحصلت على الشهادة الإعدادية فالثانوية والتحقت بمعهد متوسط وتزوجت أحد زملائها وسافرت معه إلى دول الخليج أما البنت الصغرى "وفاء" فكانت مشاكسة لأقصى حد وكانت تنال من أبوها كل علقة وعلقة أشد من الأخرى وكان كثيرا ما يضغط عليها ولا يذكرها بأى خير فى أى تجمع عائلى وحصلت "وفاء" على شهادة الابتدائية والإعدادية والثانوية ثم التحقت بكلية الحقوق وعند

التحاقها بالجامعة وحصولها على بعض الحرية بدأت آثار تربية والدها الخاطئة لتتضح تماما شخصيتها فالبنت عموما يجب أن تعامل من أبويها بحب وعطف وحنان بالغ مع المراقبة والمتابعة ولكن قسوة والدها المبالغ فيها جعلها تبحث عن أي حنان خارج المنزل فتعرفت على أحد زملائها بالكلية وكان ولدا لاهيا عابثا لا يتحمل أى مسئولية وكان من عائلة متواضعة واستطاع أن يسيطر عليها وتزوجها زواجا شرعيا بدون علم والديها وعندما عرف أبوها كانت الطامة الكبرى فقد سقط مريضاً وتملكه الحزن فعلى الرغم من معاملته القاسية لها ودعاؤه عليها باستمرار وتوبيخها بسبب وبدون سبب حتى ظن الجميع أنه يكرهها على الرغم من أنها ابنته.

كان الرجل فى أشد الألم والعذاب فقد ظهر حبه لها دون أن يشعر وأخذ يلوم نفسه بشدة على قسوته الشديدة تجاه ابنته وكان مصمما على مقاطعتها مدى الحياة ولكن بمجرد علمه ببعض الخلافات بينها وبين زوجها الذى تركها وترك فى أحشائها طفلا من صلبه هرول إلى ابنته واحتضنها

وغفر لها كل خطاياها ونسى ما فعلته فقد تغلبت عليه غريزة الأبوة وجاء ميعاد ولادتها وأنجبت طفلاً جميلاً وتعلق أبوها بالطفل تعلقاً شديداً وكان يحبه حبا جما ويعامله نفس معاملة أولاده مع التدليل وكان يحدث نفسه قائلاً بأنه لولا هذا الطفل الجميل الذى يملأ عليه حياته لما كانت للحياة أى معنى وكان زواج ابنته السرى وطلاقها له مفعول السحر على أسلوبه فى معاملة أولاده فأصبح أكثر عطفاً وحنانا على أولاده وأخذ يغدق عليهم بالمال بعد أن قام بعمل مشروع خاص له وأصبح يدر له أرباح لا بأس بها وتربى الطفل فى حضن جده وكبر وتخرج من الجامعة وأصبح معيداً ثم أستاذا بأحد الأقسام الأكاديمية بالكلية وأصبح له دخل يمكنه من الزواج والإنفاق على أسرة وكان والده رغم ذلك يمد له مساعدة شهرية تعينه على الحياة فهو يقوم بتوزيع أرباح مشروعه الخاص لكل أولاده على هيئة مبالغ شهرية أما الابن الثانى فقد تخرج من كلية التجارة وامتهن الأعمال الحرة وتزوج وأنجب وكان يتقدم فى عمله باستمرار.

أما الابن الثالث فقد تخرج من الجامعة وعمل موظفاً بهيئة مرموقة وشق طريقه فى الحياة والبنت الصغرى قد تزوجت وأنجبت واستقرت أمورها.

جلس فاروق مع نفسه بعد أن تخطى السبعين عاماً وأخذ شريط حياته يدور فى مخيلته وتذكر نفسه عندما كان يقسو على أبنائه وماذا كانت النية وتذكر نفسه الآن وهو يغدق عليهم بالحب والحنان ويوزع كل ثروته عليهم بل إنه قد اشترى كل الشقق على أنه يقطنوها مع أزواجهم أو زوجاتهم بنظام التمليك وأخذ يحدث نفسه قائلاً ليت كل الآباء يستفيدون من تجربتى فى تربية أبنائى ويبتعدوا عن القسوة والعنف فى معاملته لهم فالعنف شىء والحسم شيء آخر فالأب بالحب والحنان يستطيع أن يجعل أولاده فى طاعته دائماً بمجرد النظرة فاللبيب بالإشارة يفهم كما يقولون أما القسوة العنيفة الغير مبررة فيها نتائج عكسية تماما كما حدث مع ابنته فالبنت عندما لا تجد الحنان داخل منزلها تبحث عنه فى الخارج أما الولد فيجب مصادقته ومنحه الثقة مع المتابعة فكما يقولون فى الأمثال "إن كبر ابنك خاويه".



قلم حر

الساعة قاربت العاشرة مساءً وأخذ عم "سلامة" يستعد لإغلاق محل الخردوات والهدايا الذى يمتلكه فقد كان على عجل لأن زفاف ابنته الكبرى "سهام" كان قد تحدد بعد أسبوع وكانت الأسرة جميعاً منشغلة بهذا الحادث الهام فكان لديه أربعة أبناء ثلاث بنات وولد واحد وكان يلقب بأبي البنات وكثيراً ما كان يفكر هل سيطول به العمر حتى يزوج بناته الثلاث ويراهن فى بيوتهن وهل يستطيع القيام بتجهيزهن فقد كان يعلم أن من يزوج ثلاث بنات أو اثنين سوف يكون من نصيبه الجنة كما ذكر فى الحديث الشريف وهو الآن يحمد الله فسوف تتزوج البنت الكبرى والدور على أختيها إن شاء الله، كان "سلامة" هو وزوجته "حنيفة" يقتطعان من قوتهما حتى يستطيعا أن يوفرا لبناتهم مصاريف الجهاز والزواج فكانت تشترى لأولادها الألومنيوم

والصينى والبطاطين والملاءات بكل ما يتوفر لديها من نقود نقداً وبالتقسيط حتى استطاعت أن تجهز بناتها الثلاث إلى حد كبير؛ كانت البنات فى مراحل التعليم المختلفة وكانت أحداهن فى السنة النهائية بكلية الهندسة أما "سهام" الابنة الكبرى فقد تخرجت لتوها من كلية الإعلام قسم صحافة وكانت قد ارتبطت عاطفيا بخطيبها "صلاح" وهما يعملان محررين فى إحدى المجلات فهو يعمل فى القسم السياسى، أما هى فتعمل فى القسم الفنى وكانت قد تعرفت عليه عندما التحقت بالعمل فى المجلة بمساعدة أحد عملاء والدها فى المحل الذى يمتلكه وهناك تعرفت على "صلاح" المحرر السياسي بالمجلة وقد وقف بجانبها وانجذبت إليه بسبب قوة شخصيته وحبه لعمله ووطنيته الشديدة التى كانت واضحة من مقالاته الحماسية فنكسة يونيو عام 1967 كان قد مر عليها شهور وكانت الجماهير فى حالة غليان والقيادة السياسة والعسكرية كانت تعيد بناء القوات المسلحة من جديد حتى تزيل آثار النكسة وكان تدعيم الجبهة الداخلية من أهم أسلحة القيادة فى رفع الروح المعنوية لدى الشعب

والقوات المسلحة فكانت مقالاته المتميزة تلهب حماس الجماهير وكان يعقد ندوات ومؤتمرات يشرح فيها للناس مدى عراقة الشعب المصرى وأن الضربة التى لا تصيب فى مقتل تشد من عود الإنسان وأن كم من أمم هزمت فى جولة أو جولتين ثم استفاقت لنفسها واستطاعت الإجهاز على عدوها؛ أتى يوم الخميس وهو ميعاد زفاف "سهام" و"صلاح" وكانت ليلة منظمة وجميلة وعاش الاثنان فى شقة بسيطة بحى شبرا يملأ الحب كل أركانها ولم يمض أكثر من أسبوع حتى اعتذر "صلاح" لـ "سهام" وقرر أن ينزل للمجلة فهو وإن كان فى أحلى أيامه وهى أيام شهر العسل ولكنه كان فى شوق ولهفة أكبر لعمله لأن السعادة لن تكتمل إلا بعد استرداد الأرض المحتلة والإثبات للعالم أجمع بأن مصر بها جيش قوى يستطيع أن يردع أى عدوان عليه ويستطيع أيضاً أن يسترد ما أخذ منه كما قال الرئيس عبد الناصر فى إحدى خطبه بأن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة وكانت الجماهير تنتظر مقالات "صلاح" على أحر من الجمر، كى يعرفوا آخر الأخبار وكان الكل فى عجلة لساعة الحسم

وكانت حرب الاستنزاف هى السائدة وكان حادث تدمير المدمرة إيلات ومعركة رأس العش والتفوق الواضح لقواتنا المسلحة فى هذه المعارك أثره الواضح فى الحالة المعنوية للشعب ولم يكن هناك ما يكدر الناس إلا هجوم العدو بطائراته على الأهداف المدنية مثل مدرسة بحر البقر التى فقد فيها ضحايا كثيرين من فلذات أكباد هذه الأمة واستمرت حرب الاستنزاف فترة ليست بالقصيرة تخللتها مفاوضات مع الأمريكان من خلال مجلس الأمن مثل مبادرة روجرز التى تنص على انسحب اليهود من الأراضي التى احتلت فى عام 1967؛ ودافعت عنها الإدارة السياسية فى ذلك الوقت ولكن العدو بمماطلاته وتسويفه المعروف عنه لم يتم النجاح واستمرت المناوشات السياسية والعسكرية من اليهود حتى فوجئت الأمة بوفاة الزعيم جمال عبد الناصر وكانت صدمة كبيرة للجماهير فالرجل كان لديه شعبية جارفة بمصر ومعظم بلدان العالم العربى وعلى الرغم من أخطائه العديدة فنحن لا نستطيع أن نشك ولو للحظة واحدة فى وطنيته وطهارة يديه وحبه للبلد وكانت مقالات "صلاح"

لها دور كبير فى تهدئة الناس وإقناعهم بأن القيادة الجديدة تحت قيادة الرئيس أنور السادات ستواصل بناء الجيش ودعمه بأحدث الأسلحة حتى يستطيع استرجاع الأراضى المحتلة وفى تلك الفترة كانت هناك بعض الاضطرابات وخلافات حول الاستحواذ على السلطة.

وكانت لثورة التصحيح فى 15 مايو اليد العليا فى إنهاء هذه الخلافات والسيطرة على البلاد وأصبح الجميع يعمل بجد واجتهاد وإخلاص وتفان فالهدف كان واحداً والروح المعنوية كانت مختلفة تماماً عما كانت عليه قبل نكسة يونيو وكانت للجدية السيادة فى كل الخطط وفى ذلك الوقت كانت مظاهرات بالجامعات تحث القيادة على الحرب مع إسرائيل وكان لـ "صلاح" دور كبير فى تهدئة الناس والطلبة لأن دخول الحرب بلا استعداد سيجر على البلاد أهوالاً فظيعة.

وكانت مقالاته بالمجلة بمثابة الترياق الذى يهدئ الناس ويبث فى قلوبهم الأمل.. ومرت الأيام والشهور حتى فاجأ أنور السادات العالم أجمع بعبور قواتنا قناة السويس وتحطيم خط

بارليف ووقف العرب جميعاً بجانب مصر وسوريا وكان لسلاح البترول أثره الفعال فى الضغط على العدو ولولا الثغرة التى استغلها اليهود بمساعدة أمريكا لكان للانتصار فى أكتوبر دوى آخر وعموماً أدى الانتصار العسكرى لانتصار أكبر وأشمل سياسياً واستردت مصر كامل أراضيها وكان لـ "صلاح" وإخوانه من الصحفيين الوطنيين أكبر الأثر فى لم شمل العرب وترقى "صلاح" فى عمله حتى أصبح رئيساً للتحرير وأصبحت مقالاته تنشر فى معظم الجرائد الوطنية والجرائد العربية وانتقل هو و"سهام" من الإقامة فى حى السيدة زينب إلى شقة واسعة فى المهندسين وتحسنت أحوالهما المادية إلى حد كبير أما زوجته "سهام" فقد أصبحت رئيسة للقسم الفنى بالمجلة وكانت تهاجم الابتذال والعرى فى الأفلام والمسلسلات وكانت تردد دائماً بأن الفن النظيف له أكبر الأثر فى ترسيخ المبادئ والأخلاق الحميدة.. حتى الأغانى فكانت تطالب المصريين بانتقاء الكلمات الجادة التى تفيد ولا تضر باختصار شديد كان الزوجان يكونان توليفة ونموذجاً رائعاً للأسر المصرية المثقفة التى تربت وربت أولادها على الخير.

كلام الناس

كـان الجـو مهيبـا فكـان القـرآن يُقـرأ والكـل صـامت وكـانت كـل الحاضـرات متشـحات بالسـواد وكـانت فـاتن أرملة المرحوم فى حالة حزن ظـاهر وكـانت السـيدات يلتففن مـن حولهـا يشـاطرنها الأحـزان فقـد كـانت أرملـة صـغيرة لا يتجـاوز عمرهـا أكثـر مـن خمسـة وعشـرين عامـا أمـا زوجهـا المتوفى فقـد نـاهز السـتين وكـان مصـابا فـى أيامـه الأخيرة بمرض عضـال وكـان من أثرياء القوم فهو قـد تـزوج مـن فـاتن منـذ خمـس سـنوات وقـد تقـدم وطلب يـدهـا وكـانت هـي مـن أسـرة أقل من المتوسـط وانبهـر والـداهـا بسـبب ثرائـه الفـاحش بعد أن قدم إليهما الهـدايا الثمينـة واشـترى شـقة فـاخرة باسـم فـاتن وفـتح لهـا حسـاباً فـى البنـك برصـيد محـترم واسـتطاع والداها إقناعها بالزواج من هذا الكهل فقد كـانت صـغيرة كل مـا يهمهـا أن تلبس فسـتان الفـرح وتجلس فـى الكـوشـة

وحولها أهلها وأصدقائها ؛ ورغم كل ذلك فقد كانت فاتن زوجة مخلصة لزوجها إلى أقصى حد فقد تفانت فى خدمته وقامت بتمريضه فى الفترة الأخيرة على أكمل وجه وقد أنجب منها ولدا وبنتا والحقيقة فقد كان يتعامل معها بصورة طيبة وكان يغدق عليها بالأموال وقد قام أخيرا بكتابه كل ثروته لزوجته وطفليه ؛ انتهى المقرىء من قراءة جزء من القرآن فأخذت الحاضرات يتحدثن فيما بينهن بصوت منخفض يهمسن حاسدات فاتن على الثروة التي تركها لها زوجها خاصة أنها مازالت شابة جميلة وتستطيع بسبب ثروتها وجمالها أن تتزوج من رجل محترم وكانت أخريات يهمسن قائلات بأنها تزوجت منه لأجل ماله فقط وأنه بمجرد انتهاء العدة سوف تتزوج شابا من عمرها ؛ وأخريات يظهرن الشفقة بأطفالها من زوجها المرحوم مدعيات بأن الزوج القادم لأمهما سوف يأخذ كل شيء بما فيه والدتهما ؛ عموما هذا هو حال الناس فهم لا يتركوا أحدا فى حاله .

أخذت فاتن تفكر بعمق بعد انتهاء الجنازة فهي الآن

اصبحت وحيدة مع طفليها وعلى الرغم من التفاف أبويها وأخوتها حولها فهي كانت تعلم تماما بأن هذه فترة لن تطول وسوف ينشغل كل منهم بأحواله عدا أبويها ولكنهما كانا قد طعنا فى السن ويحتاجان لمن يرعاهما ؛ كانت فاتن قلقة جدا على طفليها وكانت تعلم تماما بأنها سوف تكون مطمعا لكثير من الرجال نظرا لثرائها وجمالها الفاتن وكانت على يقين بأن أمها سوف تضغط عليها لكي تتزوج لأن ابنتها مازالت فى مقتبل العمر وهى تحتاج إلى رجل يقف بجانبها ويحنو على طفليها ويقطع أيدى الطامعين بابنتها ولكن أين هذا الرجل؛ كانت كل هذه الأفكار تدور بشدة فى خيال فاتن واستغرق بها الخيال ورأت نفسها وهى متزوجة من شاب فى عمرها يتميز بالوسامة والأناقة وكيف استطاع أن يسيطر على عقلها وقلبها تماما خاصة بعد أن تظاهر بحبه لها ولأطفالها وكان حريصا حرصا تاما على إرضائها فى الفترة الأولى فكان يكثر من النزهات والرحلات ويغدق عليها وعلى أطفالها بالهدايا فانبهرت به لأنه مختلف عن زوجها الراحل فقد كان يكثر من الضحك

وإلقاء النكات والقفشات وكان دائما فى لهفة عليها وما أدراك فى لهفة الشباب فقد كان زوجها الراحل متحفظا فى كل شيء نظرا لكبر سنه وكانت طباعهما مختلفة باختلاف الأجيال .

ثم بعد فترة بدأ زوجها الشاب يطلب منها بأن تعطيه توكيلاً كي يقوم بإدارة ثروتها لأنه يخشى عليها من طمع القائمين عليها فقامت بعمل التوكيل له وهى راضية ثم أخذ يطلب منها أموالا طائلة كي يستطيع أن ينفق على الأطيان الزراعية وكانت تعطى له كل ما يطلب دون أن يتسرب أى شك إليها وبعد فترة وجدته مهموما وحزينا وضعف إقباله عليها ولم يعد يهتم بها وبأولادها فسألته عن السبب فأخبرها بأن الناس يتضاحكون عليه مشيرين بأنه زوج الست فهو قد تزوجها طمعاً فى أموالها ولابد أن ينشئ مشروعا خاص به حتى يقطع ألسنة الجميع ولكن ليس لديه المال الكافى ونظرا لحبها الشديد له قامت بتمويل مشروعه بعد أن سحبت كل رصيدها من البنك فاعتدل حاله لفترة وجيزة ثم عاد يعاملها بجفاء ويقسو على طفليها وأخيراً علمت من

إحدى صديقاتها بأن زوجها متزوج من أخرى ويغدق عليها بلا حساب فاشتد فزعها وقامت بمواجهته فاعترف لها بأنه قد تزوج من حبيبة عمره واشترى لها شقة فارهة وسيارة وأن السبب من زواجه منها هو الحصول على المال كى يحقق أحلامه وأنه قد استولى على كل ما لديها بالتوكيل الذى معه وهو الآن لم يعد فى حاجة إليها لأنه قد حقق مراده وكانت صدمة كبيرة لفاتن فوقعت مغشياً عليها وهى تصيح "لا لا ده حرام" وفى لحظة أفاقت على يد أمها وهى تهز كتفيها قائلة لها: فاتن ماذا جرى لك فأخرجتها من حالة الخيال الجامح الذى سيطر عليها وانتبهت لنفسها وأخذت تردد قائلة الحمد لله الحمد لله!!

الرضا بقضاء الله

كان الجميع فى حالة وجوم وقلق واضح فالكل كان يلتف حول الحاج "عبد الجواد" الذي كان طريح الفراش منذ أكثر من شهرين وقد طالت فترة المرض هذه المرة وقد أتوا بأكثر من طبيب بل قام أبناؤه بعمل كونسلتو ولكن لا فائدة فالكل يخرج صامتا ويقول الكلمة الشهيرة "لقد فعلنا ما بوسعنا.. والباقي على الله" كان الحاج "عبد الجواد" قد اجتاز الخامسة والسبعين من عمره وقد أصيب فى الفترة الأخيرة بمرض عضال ولم تنجح معه أى أدوية وبصراحة لم يقصر أبناؤه وزوجته فى الأخذ بالأسباب وكانوا يدعون له باستمرار ويقرأون له القرآن وكان الحاج يهزى فى الأيام الأخيرة بكلمات غير مفهومة فهو يتحدث عن الماضي البعيد ويتحدث عن أشخاص أصبحوا فى عالم الآخرة وذلك كان يجعل أولاده وزوجته فى حالة بكاء مستمر .

انتحت زوجته "خديجة" جانبا وجلست على كرسي وأخذت تدعو له ثم أخذت شريط ذكرياتها مع زوجها الحبيب يدور فى مخليتها فأكثر من خمسة وأربعين عاما وهما متزوجان وقد أنجبت منه أربعة من البنيين وبنتين وكان الأبناء قد تخرجوا من كليات مختلفة وبعد ذلك اشتغلوا مع والدهم فالرجل كان يمتلك مصنعين من الملابس احداهما فى 6 اكتوبر والآخر فى العاشر من رمضان وكان المصنعان من أكبر المصانع لصناعة الملابس الجاهزة فكان يغطى السوق المحلى وأيضا كان يقوم بالتصدير للخارج وقد وضع ماركة مميزة على ملابسه وقام بتسجيلها حتى ينفرد بها لأن إنتاجه كان متميزا فكان يتقى الله فى انتقاء الخامات وكانت أسعاره معتدلة وموديلاته مسايرة للعصر بدون الإخلال عن تقاليدنا وأعرافنا .

كان يعمل لدى الحاج "عبد الجواد" أكثر من ألف وخمسمائة عامل فقد قام فى الفترة الأخيرة بافتتاح أكثر من عشرة معارض بأنحاء (القاهرة والإسكندرية وبور سعيد) وكانت له معارض خارج القاهرة تذكرت "خديجة"

يوم أتى "عبد الجواد" إلى منزل والدها لطلب يدها فقد كان شابا صغير السن رقيق الحال ولكن عينيه كان يشع منهما بريق الذكاء وكان حديثه مفعم بحماس وطموح طاغ فانجذبت إليه ووافقت على الفور عندما قام أبوها فأخذ رأيها وتذكرت كيف بدأت معه بشقة صغيرة من ثلاث غرف وصالة بحي العباسية فقد كان يعمل فى بادىء الأمر قومسيونجيا فقد كان يأخذ الملابس من المصنع بسعر خاص ويقوم بتوزيعها على المحلات والمعارض بهامش ربح ضئيل حتى يبيع أكثر وكان عمله ليس سهلا فهناك من أصحاب المحلات من يتعاونون معه، ويسهلون مهمته ويسددون له ثمن سلعته فى الحال وكان هناك من يماطل فى السداد وآخرون يحاولون التهرب من السداد والبعض الآخر ينصب عليه وكثيرون منهم يقومون بإرجاع البضاعة التي لم تبع لديهم ولكن بسبب كثرة البيع والتوزيع تكون المحصلة النهائية بها مكسبا وإن كان ضئيلا لكن كان يعينه على مشوار الحياة وكانت زوجته خديجة مدبرة لأقصى حد فقد كانت تدخر من مصروف البيت وتشترى الحلي وكان هو الآخر

يدخر لأنه كان يأمل فى القيام بمشروع خاص به وأخيرا بعد فترة تمكن من ادخار مبلغ ليس كبيرا وتحدث مع زوجته عن مشاكل العمل وعلى المجهود الكبير الذي يبذله وفى النهاية لم يكن المكسب مناسبا لطموحه فقامت ببيع حليها على الفور وأعطت النقود له على المبلغ الذي معه تمكنا من شراء شقة صغيرة بأحد الأماكن الشعبية واشترى عدة ماكينات خياطة مع مستلزمات وورشة صغيرة وعندما بدأ أول إنتاج له كان فى منتهى السعادة وقام بتوزيعه بنفسه على عملائه القدامى الذين رحبوا بإنتاجه الجيد فطالما كان يبيع لهم ما أنتجه الآخرون بأحسن الأسعار وبعد فترة اشترى الشقة التي بجوارها وضمها للشقة الأخرى وزاد الإنتاج وبالتالي زاد التوزيع وتفرغت خديجة للمنزل تماما و لأولادهما فكان كل منهما يكمل الآخر والحقيقة كان الرجل يخرج زكاة المال فى مواعيدها وكان لا يتوانى عن مساعدة أى محتاج أو مريض ومرت السنون والنجاح يزداد من عام إلى عام حتى اشترى قطعة ارض بالعاشر من رمضان وبنى عليه مصنعه الأول وبعد أن كان يوزع داخل مصر

فقط امتد نشاطه للخارج وقام بالتصدير للدول العربية والدول الغربية ثم قام بافتتاح مصنع آخر بمدينة 6أكتوبر لسد حاجة السوق وكان كل ولد من أولاده تخرج من الجامعة يقوم بالعمل مع والده ؛ كانت رحلة الكفاح طويلة وها هو الآن على فراش الموت أخذت خديجة تتذكر قصة حياتها مع زوجها وفجأة سمعت صرخة من ابنتها قطعت حبال أفكارها وأخرجتها إلى الواقع فقد مات الرجل الطيب والزوج الحنون وأخذ أولاده الرجال يبكون بصوت مسموع والغريب أن وجهها كان مليئاً بالرضا لأنها كانت على يقين تام بأن زوجها قد أدى رسالته فى الحياة فتحدثت إلى أولادها قائلة لهم لا تبكوا لأن أباكم مثواه الجنة إن شاء الله وإن هذه هي النهاية المحتومة لكل منا فلتدعوا له بالرحمة وتدعوا لنا بالصبر، والسلوان. ....


2003

قصة حب

كان الجو فائق الحرارة فنحن فى شهر أغسطس وهرب الناس إلى المصايف كي يستطيعوا أن يتغلبوا على حرارة الجو وكانت البلاجات مزدحمة عن أخرها وكانت الشماسي على بلاج ميامى ملتصقة يكاد لا يكون هناك فجوة ولو صغيرة يستطيع أن يمر الناس منها فهناك أطفال وشباب ورجال يطفئون حرارة الطقس بالاستحمام فى مياه البحر وكان الأطفال يبنون قصوراً من الرمال على البلاج وهناك آخرون يلعبون الكرة الطائرة وكانوا يهللون عند أي هدف يحرز وكان هناك آخرون يلعبون الراكت وكان البائعون ينتشرون حاملين معهم زجاجات المياه الغازية والفريسكا وكانت كل أسرة تحمل معها شنطا مليئة بجميع أصناف السندوتشات.

جلس سامح وزوجته غادة تحت أحد الشمسي وكان يقرأ

فى الجريدة الصباحية بينما كانت هى تفرغ له كوباً من التمر الخاص بهما؛ كان الاثنان لتوهما متزوجين وهما الآن فى رحلة شهر العسل لمدينة الإسكندرية وكانا فى سعادة غامرة لأنهما قد تمكنا من الزواج بعد معاناة كبيرة من موافقة الأهل وتدبير الشقة وتوفير نفقات الزواج فأخيرا قد استطاعا تحقيق حلميهما بعد خمسة سنوات من إعلان خطوبتهما فقد كانا زميلين فى كلية طب الأسنان وقد تعرف كل منهما على الآخر فى إحدى رحلات الكلية وكان اللقاء الأول ملئ بالعواطف المختزنة فكان الحب من أول نظرة فمجرد أن تلاقت عينيهما اندلعت شرارة الحب وأحس كل منهما برجفة خفيفة وهذه هي الكيمياء كما يقولون.

بعد المقابلة الأولى انصرف كل منهما إلى حال سبيله لم يستطع سامح أن يتغلب على طيف غادة الذى كان يسيطر على كل حواسه وكان يشعر بشعور غريب فكل شىء من حوله قد تغير على الأقل بالنسبة له فالدنيا أصبحت جميلة والحياة أصبح لها معنى وأخذ يحلق فى سماء الرومانسية

فاصبح يسمع الأغاني العاطفية بشغف بالغ وكان يحس بكلماتها وأخذ يقرأ القصص العاطفية الشهيرة مثل روميو وجولييت وقيس وليلى وكان يستيقظ مبكراً للذهاب للكلية وهو فى قمة النشوة والأمل بعد أن كان يذهب إليها كأداء واجب وأخذ يهتم بملابسه اهتماما بالغا وبطريقة تصفيف شعره ولم يعد يشعر بازدحام المواصلات ولم يعد يهتم بقسوة بعض أساتذته فقد كان كل شيء من حوله جميلاً وكان يتعمد لقاء غادة وأخذ يسأل عليها ويعرف عنها كل شيء وعندما كان يراها كان يحلق فى ملكوت آخر فهو يشعر بأنه واقف فى حديقة غناء والورود تتناثر حوله من كل اتجاه وكان يشتم رائحتها وتغيرت علاقته بأبيه وأمه وأخواته فأصبح أكثر رقة أما غادة فلم تختلف عنه وإن كانت أكثر خجلاً بحكم طبيعة الأنثى وكان وجهها يتورد عند رؤيتها لسامح ويدق قلبها بعنف وتتلعثم وتضيع منها الكلمات كان الشعور بالحب رائعاً واتفقا الاثنان بعد أن أقرا بمشاعرها على الارتباط المقدس بعد تخرجهما ولكن لم يكن الطريق سهلاً فسامح من أسرة متوسطة

الحال وكان أبوه يعمل موظفاً بإحدى شركات القطاع العام وكان كل همه أن يتخرج ابنه من كلية طب الأسنان ويشق طريقه بنفسه أما هي فقد كانت من أسرة ميسورة نسبياً فوالدها كان عميداً بالقوات المسلحة ونظراً لجمالها الباهر فقد كان الخطاب يتوافدون عليها وكانت ترفض بشدة بحجة أنها تريد أن تستكمل دراستها وكان أبواها قلقين عليها من رفضها الدائم للخطاب على الرغم من تمتعهم بالخلق الكريم مع القدرة المالية لبناء أسرة؛ واستشعرت أمها بقلب الأم بأن هناك آخر وبعد الضغط على ابنتها أقرت بوجود شخص فى حياتها وهو سامح ولا يستطيع أن يتقدم طالباً يدها فى الوقت الحاضر نظراً لظروفه فشعرت أمها بهلع شديد وأخذت تقنع غادة بأنها لا ترفض أى رجل مناسب يتقدم إليها فالأساس فى الزواج هو القدرة المالية وأن ما تشعر به ليس أكثر من وهم يصيب الفتيات فى مثل هذه السن وأخبرتها بأن الفقر عندما يأتي من الباب يرمى به الحب من الشباك؛ وعندما رأت إصرار ابنتها على موقفها أخبرت والدها الذى بدوره توعد ابنته بأنه لن يوافقها أبداً

على ما تفكر فيه وإن أدى ذلك إلى منعها من الذهاب إلى الكلية وهددها بأنه سوف يؤذى سامح إذا لم يمتنع عن مشاغلتها.

أخبرت غادة سامح برأي والديها فهرع على الفور إلى منزل غادة فوجد والدها الذى يقابله بفتور ويخبره بأن طلبه ليس عنده فخرج سامح من عنده مهموماً مدحورا وأظلمت الدنيا فى وجهه تماماً فهو لا يتصور أن تكون غادة لغيره فالموت أهون من أن يدعها تتزوج من غيره.

أصبحت غادة فى حزن دائم وذبل وجهها وامتنعت عن تناول الطعام تماماً كوسيلة ليس للضغط على أبويها أكثر من أنها لم يعد لديها رغبة فى الحياة بدون سامح فأحضرا أبواها أحد الأطباء النفسيين لمباشرتها الذى بدوره ألمح لوالديها بأن ابنتهما سوف تصاب بانهيار عصبي حاد إذا أصرا على موقفيهما معها فاضطر والدها وهو فى كامل الخوف والفزع إلى مقابلة سامح وفتح قلبه له وبعد أن تقرب منه وجد أنه شاب مهذب وطموح ويحب ابنته بإخلاص تام وإذا كانت ظروفه ضيقة فى الوقت الحاضر فسوف يكون

له مستقبلاً باهراً فكلنا قد ولدنا عرايا لا نملك شيء ومن يعلم قد يصبح سامح من أثرياء القوم وهذا أيضاً لا يهم المهم هو سعادة ابنته ووافق على ارتباطها بسامح وتم الزواج بعد فترة وهاهما الآن يقضيان أحلى أيام حياتهما على بلاج ميامى.

ثمن الغربة

سافر يوسف الى السعودية ليتسلم عمله الجديد مهندساً فى إحدى المنشآت البترولية بمدينة الدمام فى السعودية بعد أن واتته فرصة للإعارة بمرتب مغر وكان يسعى إلى هذه الفرصة حتى يحقق أحلامه وآمال أسرته فى توفير حياة رغدة لهم وتأمين مستقبلهم فقد تخرج من كلية الهندسة منذ عشر سنوات وهو يعمل بقطاع البترول فى إحدى المنشآت البترولية بمنطقة بلاعيم وكان راتبه يساعده على أن يحيا حياة كريمة ولكن بلا ادخار فهو يركب سيارة مستعملة وكانت زوجته تعمل بأحد البنوك الوطنية وكانت الحياة تسير على ما يرام وان وجد بعض الصعوبات المالية حيث يحاول إلحاق ابنته بحضانة مدرسة اللغات عموماً كان راتبه وراتب زوجته معاً يكفيان لأن يعيش مستوراً فى الغلاء الطاحن وكان يوسف شخصاً طموحاً فقد أنجب طفلة

جميلة سماها سارة وولد سماه تامر والآن زوجته حامل فى طفل ثالث وهو الآن يريد أن يؤمن مستقبله ويريد أن ينتقل إلى شقة فسيحة بحى أرقى مع باقى الأحلام التى تدور فى خيال كل الناس.

ودع يوسف زوجته وأولاده ووعد زوجته بانه سيرسل لها المرتب كل شهر كى تنفق ما تشاء وتودع ما تبقى فى أحد البنوك باسمه وفعلاً التحق يوسف بالعمل فى هذه المنشأة وأقام فى شقة صغيرة على نفقة الشركة وكان يعمل بجد واهتمام ويرسل راتبه الكبير بانتظام إلى زوجته وكانت هناك بعض المشاكل فى العمل خاصة بينه وبين زملائه وتسلط رؤساؤه فى العمل ولكنه تجاوز كل ذلك وفى أول إجازة لمصر بعد عام كامل من الشقاء كان فى شوق ولهفة لملاقاة زوجته وأولاده ورؤية بلده فهو يعشق تراب مصر يحب شوراعها ومبانيها ومقاهيها وأصحابه وأهله وتمنى فى قرارة نفسه ألا يسافر ثانية ولكن هيهات فالمبلغ الذى أدخره دفعه مقدماً لشقة جميلة وواسعة بحى مدينة نصر وهو الآن مضطر للسفر حتى يسدد باقى الأقساط التى عليه ومن عام

لآخر انتهى من قصة الشقة ثم جاءت فكرة تغيير السيارة وأصبح لديه أربعة أولاد وبعد السيارة أراد أن يشترى شاليه بالساحل الشمالى ثم بالعين السخنة وهلم جرا ومرت السنون والأحلام تزيد والطموحات تكبر وعندما يأتى إلى بلده فى إجازة يجد أن الأسعار تضخمت فهو ينفق الألوف فى الأجازة فكان يحاول تعويض حرمان أولاده منه بقضاء الأجازات فى أجمل الأماكن بشرم الشيخ والغردقة والساحل الشمالى وأحيانا كان يسافر بهم خارج مصر؛ كانت ثروة يوسف تزيد وفى نفس الوقت كان لا يستطيع العودة إلى مصر فالأولاد قد كبروا والتحقوا بالجامعات الخاصة ذات المصاريف الباهظة واشترى لكل منهم سيارة؛ مرت الأيام ومازال يوسف يعمل بالسعودية فقد زاد راتبه إلى حد كبير ورغم ذلك فهو لا يستطيع العودة لأنه كان قد سافر حتى يحيا هو وأسرته حياة كريمة ولكن الآن عليه أن يوفر لأولاده الأربعة حياة كريمة فكل منهم يريد أن يتزوج ويريد شقة مع تجهيزات الفرح وخلافه ومنهم من يريد أن يوفر لهم وأولادهم مبلغا كبيرا يكون نواة لعمل مشروع تجارى ؛

باختصـار شـديد أصبح حلـم العـودة مسـتحيلاً وهـو الآن قـد وصل إلى سن الستين واضطر أن يعود إلى مصر بعـد أن سـوى معاشـه وشـعر براحـة كبيرة فسـوف يجنـى أخيرا ثمـار تعبـه كله فقد عمل تسعة وعشـرين عامـا بالسـعودية وعنـدما رجع إلى مصـر قابلـه أولاده وزوجتـه بلهفـة وحـب مـدة يـومين علـى الأكثر ثم وجد الكل مشغولا عنـه فزوجتـه كانت منشـغلة تماماً بأولادهـا وبزوجـاتهم وأزواجهـم وبصـغارهـا فطـول سـفر يوسف كانت هى الأم والأب فزاد التصاقها بالأولاد وابتعدت عن يوسف دون أن تشعر الذى حاول معها أكثر من مـرة بعـد أن تحدث إليها قائلاً لها: بأنه من حقى أن أجد من الرعاية ما يعوضني التعب عن الفترة الماضية بعد أن أفنـاه التعب ولكـن لم يجد منهـا اسـتجابة فقـد تعـودت علـى حياتهـا الجديـدة أمـا الأولاد فكـان كل منهم فى واد فـالبنين مشـغولين بزوجـاتهم وأولادهـم وبأعمـالهم أمـا البنـات فقـد كـان كـل همهـن هـو أزواجهن وبيوتهن ونسـى الجميع يوسف فى خضـم الحيـاة فـلا أحد يسأل عنه إلا كل مدة وكان يستيقظ من نومه صـباحاً يقرأ الجرائد ثم ينام ثانية فزوجته إمـا مـع ابنهـا أو بنتهـا وفـى

فترة سفره ابتعد عن كل أصحابه فلم يكن لديه أى وقت لتدعيم صداقاته أما أخواته فقد كان كل منهم مشغول بعمله وبأسرته.

بعد ستة أشهر بلغ الضيق ذروته بالنسبة ليوسف فقرر أن يجمع زوجته وأولاده على العشاء ليخبرهم بشىء هام وقد أتى الجميع على مضض فالكل مشغول وتناسوا والدهم فى خضم الحياة اجتمع يوسف معهم بعد أن كتب كل أملاكه بأسمائهم حسب الشرع وقام بتسيلم كل منهم ما يخصه واستلموا منه العقود وهم فى دهشة كبيرة وأخبرهم يوسف بأنه قد سافر إلى السعودية منذ ما يقرب من ثلاثين عاما وأخذ يعمل بجد ليوفر ثروة لهم وها هو الآن قد حقق كل ما تمنوه وأخبرهم بأنه عندما كان قد عاد لم يجد المعاملة اللائقة به كأب مكد مكافح فى سبيل أسرته وها هو الآن سوف يسافر ثانية إلى السعودية بعد أن خاطب الشركة فى الأيام الماضية ووافقت على أن يكون مستشاراً لها نظراً لخبرته الكبيرة فهذا قراره وسوف يظل غريباً وإن كانت غربته وسط أسرته وبلده كانت أكثر قسوة عموماً كانت

هـذه هـى الضـريبة التـى كـان مضـطراً لأن يـدفعها وحـده؛ حاولت زوجته وأولاده إثناءه على السفر ولكنـه رفض بشـدة قـائلاً لهم شـكراً وودعهـم ثم سـافر وكانت عيون الجميـع مغرورقة بالدموع بما فيهم يوسف نفسه.

الاستقامة

عاد "على" من كليته وكان طائراً من الفرح فاليوم قد ظهرت نتيجة الليسانس وتخرج بتقدير "جيد جداً" مع مرتبة الشرف من كلية الحقوق وكان فى أشد اللهفة لرؤية والده ليخبره بالنبأ السعيد فالآن قد تحقق حلم والده فهو يريد أن يرى ابنه وكيلاً للنيابة ثم رئيساً للنيابة أو يراه قاضياً ثم مستشاراً لأن والده كان يعمل حاجباً بالمحكمة وكان يتمنى طيلة حياته أن يرى ابنه مثل القضاة الذين يراهم فكان لا يبخل على ابنه بأي شيء قدر استطاعته حتى يوفر له المناخ الملائم للتفوق وكان يقدر تماماً ما يفعله أبوه لأجله فلم يضيع دقيقة واحدة من وقته بدون أن ينهل من العلم وأخيراً تحقق المراد واحتضن "على" أبوه بفرحة وغاب الاثنان فى بكاء مسموع منهما لا يصدقا نفسهيما وبعد قليل جلس

الاثنان سوياً ثم انضمت إليهم أمه وأخذوا يتحدثون عن المستقبل الموعود الذى ينتظر"على" وكان أبوه يتحدث بفرحه وأخذ يسير مثل القضاة الذين يعمل معهم وهو يتخيل"على" مثلهم ولكن "على" فاجأه بأنه لا يريد أن يعمل فى سلك القضاة لأنه لديه فرصة كبيرة لأن يتعين معيداً بالكلية وسوف يستكمل دراسته حتى يحصل على الدكتوراة ويصبح مدرساً ثم أستاذا بالكلية فبهت والده للحظة وأصابه الوجوم ولكن "على" استطاع بعد جهد أن يقنعه بأن أستاذا بكلية الحقوق تعتبر وظيفة راقية ورفيعة وأن معظم رؤساء الوزراء المصريين مثل مصطفى النحاس وغيره كانوا قد تخرجوا من هذه الكلية وأنه يستطيع أن يفتح مكتباً للمحاماة فى المستقبل يدر عليه مالاً وفيراً ذلك بجانب المنصب العالى الذى سيتبوأه .

التحق "على" بسلك التدريس فى الجامعة وعين معيداً وكان يجد فى تدريسه بالكلية وفى نفس الوقت كان يبذل قصارى جهده فى الحصول على الماجستير وفى خلال عامين تمكن من الحصول عليه وأتته فرصة للحصول على

الدكتوراه من باريس فسافر إلى باريس ووجد هناك نهضة فى كل شىء رأى نهضة صناعية واجتماعية وفكرية وتمنى من كل قلبه أن يرى ذلك فى بلاده وهناك فى باريس تعرف على إحدى زميلاته فى بعثة من جامعة أخرى وتقربا إلى بعضهما وتزوجا وأنجبا طفلا صغيرا ومرت السنوات وحصلا كليهما على الدكتوراه وعادا إلى مصر وقد عين كل منهما مدرسا فى كليته وكان ذلك فى أواخر الثمانينات استقر الزوجان فى القاهرة وكانا يقيمان عند أسرتيهما ثم بدأت المعاناة فى البحث عن الشقة وكانت صدمتهما كبيرة فأسعار الشقق كانت ملتهبة ولم تسعفهما مدخراتهما للحصول على شقة مناسبة وأخيراً استطاعا أن يحصلا على شقة تعاونية خاصة بالعاملين بالجامعة وقاما بتأسيسها قدر استطاعتهما واستطاعا شراء سيارة صغيرة تساعدهما على الذهاب للجامعة وقضاء متطلباتهما وبعد جهد استطاعا أن يكيفا حياتهما على الواقع المتاح فراتباهما الاثنان معاً يكاد يكفى متطلبات المعيشة من طعام وشراب والتحاق ابناهما بمدرسة خاصة مع الحاجة الملحة لخادمة فى المنزل ؛

مـرت الأيـام وأخـذ "علـى" يجتهـد فـى عملـه وكـان لا يقـوم بتدريس القانون فقط للطلبـة بـل كـان يلقـى عليهم مـا تعلمـه وكـل مـا رآه خـارج مصـر فـى بـاريس وكـان يتمنـى أن يـرى القـاهرة باريسـاً ثانيـةً ومـرت السـنون ورُقـى "علـى" إلى أسـتاذ مسـاعد وأصبـح لـه مؤلفـات وقـام بافتتـاح مكتب للمحامـاة وأصبحت أصوله المالية فـى ازدهـار وكـان بـاراً جداً بوالديه وكان مكتبه لا ينظر إلا فـى القضـايا الشـريفة وذاع صيته لأنـه كـان متخصصـاً فـى القضـاياً الجنائيـة و كـان يأتيـه الموكلين من كل أنحاء العاصمة وأيضاً من الأقاليم، أصبح لديه ثلاثة أولاد وبنتا واحدة.

جلس "على" فى مكتبه ثم دخل عليه سـكرتيره الخـاص محدثاً إياه بأن أحد الموكلين أراد مقابلته فأذن "علـى" ودخـل الرجـل علـى "علـى" وسـلم عليـه بترحـاب وأبلغـه بـأن أخـاه قـد قبض عليه وهو متلبس بتهريب شحنة كبيرة من الهيروين وأن الدكتور "على" هو الوحيد الـذى يستطيع أن ينقـذه مـن حبـل المشنقة؛ تجهم وجه على وأخبر الرجل بأن مكتبه لا يقبل هذا النوع من القضـايا وأن أخـاه يستحق أي جزاء يوقـع عليـه

لأن تجارة المخدرات وخاصة الهيروين تفتك بشباب البلد وتدمر الاقتصاد ولم ييأس الرجل وعرض على "على" مبلغ مليونين من الجنيهات وشقة فخمة فى أرقى مكان بالقاهرة إن هو قبل قضيته واستطاع أن يخرج أخيه من محنته وإن لم يقبل فسوف ينتقم من الدكتور "على" أشد انتقام؛ لم يخف على من تهديد الرجل فقد تعود على ذلك وطرد الرجل شر طرده من مكتبه ولم ينس إبلاغ الشرطة بتهديد الرجل له لأنه كان قد رأى فى عيني الرجل شراً مستطيراً وحقداً لا حدود له عليه بعد أن رفض قبول القضية وقامت الشرطة بمراقبة "على" جيداً لحمايته من أي خطر.

وفى إحدى المحاضرات بإحدى الجامعات الإقليمية سافر الدكتور"على" لإلقاء محاضرة ثم أوقفه كمين للشرطة بناء على بلاغ وقام بتفتيش سيارته فوجد فى شنطة السيارة كمية لا تقل عن 2 كيلو من الحشيش وبعض أكياس من الهيروين وتم القبض عليه وإحالته إلى النيابة بتهمة الاتجار فى المخدرات وكانت صدمة كبيرة وحاول أن يدافع عن نفسه ولكن بلا جدوى فالقضية محبوكة فجلس على

الكرسي وهو فى حالة انهيار تام وتخيل زوجته وأولاده والصدمة على وجوههم وفى لحظة دخل معاون المباحث ومعه رجل تعرف عليه "على" فى الحال لأنه نفس الرجل الذى رفض "على" قضيته وأخبره معاون المباحث أنهم كانوا يراقبونه جيداً وقد رأوا هذا الرجل وهو يضع المخدرات فى شنطة سيارة "على" وابتسم له معاون المباحث قائلاً له خير ما فعلت هو انك قمت بإبلاغ الشرطة ولولا ذلك لحدث ما لا يحمد عقباه.

إنذار

جلس همام على كرسيه الهزاز وأخذ يدخن سيجاره المفضل وطلب من السفرجى إحضار فنجان من القهوة على عجل فهو الآن فى حالة استرخاء تام لأن الفترة السابقة كانت فترة عصيبة لأنه كان قد بذل مجهودا رهيبا حتى يحصل على عضوية مجلس الشعب وقد أنفق أموالا كثيرة للحصول على المقعد فبعد أن نجحت أعماله المتعددة والمتشعبة إلى حد كبير وأصبح من أثرياء القوم أخذ يبحث عن السلطة كي يحمى إنجازاته فالسلطة والمال شقين متلازمين ويكمل كل منهما الآخر.

كان همام رجل فى السابعة والخمسين من عمره وكان قد تخرج من كلية الهندسة وهو فى الثالثة والعشرين وكان ينحدر من أسرة متوسطة فالأب يعمل موظفاً والأم ربة بيت وقد بدأ حياته من الصفر فبعد أن أدى الخدمة العسكرية

وأتتـه فرصـة عمـل بدولـة الأمـارات وظـل هنـاك سـت سـنوات استطاع أن يدخر فيها مبلغا معقولا وعاد إلى بلده وتـزوج فتـاة طيبة وقرر أن يخوض مجال المقاولات ولكن المبلغ الـذى معـه لا يكفـى فاضـطر أن يشـارك أحـد زملائـه واسـتطاعا شـراء قطعـة أرض بحـي مدينـة نصـر وبقـرض بسـيط مـن البنـك تمكنا من البناء ونظـراً لأزمـة السـكن تـزاحم عليهم النـاس واشتروا الشقق قبل أن تنتهي البناية وخرجا الاثنان بربح مجز واسـتمرا فـى شـراء الأرض تلـو الأرض بـنفس الحـي وأحيانـا بمصـر الجديـدة واسـتمرا فـى عملهما وأصبح لهمـا زبـائن فـى كل مكـان وبعـد عشـرة سـنوات تضـخمت ثـروة همـام وأخـذ يفكـر فـى شـراء قطعـة أرض كـبيرة بالسـاحل الشـمالي لينشئ قرية سياحية وبمجرد الإعلان عن القرية تهافت الناس عليه نظـراً لسـمعته الطيبـة ومـن قريـة لأخـرى لمدينـة سـكنية أصبح همـام مـن الشخصـيات البـارزة فـى المجتمـع ورغـم كـل هذا النجاح فلم يكن همـام سـعيداً بالقدر المطلوب فقـد نسـى نفسه وسط الأعمال فكان لا يـداوم علـى الصـلاة ولـم يكـن يعبـأ بأعمـال الخـير حتـى أولاده الثلاثـة كـان يـوفر لهـم المـال

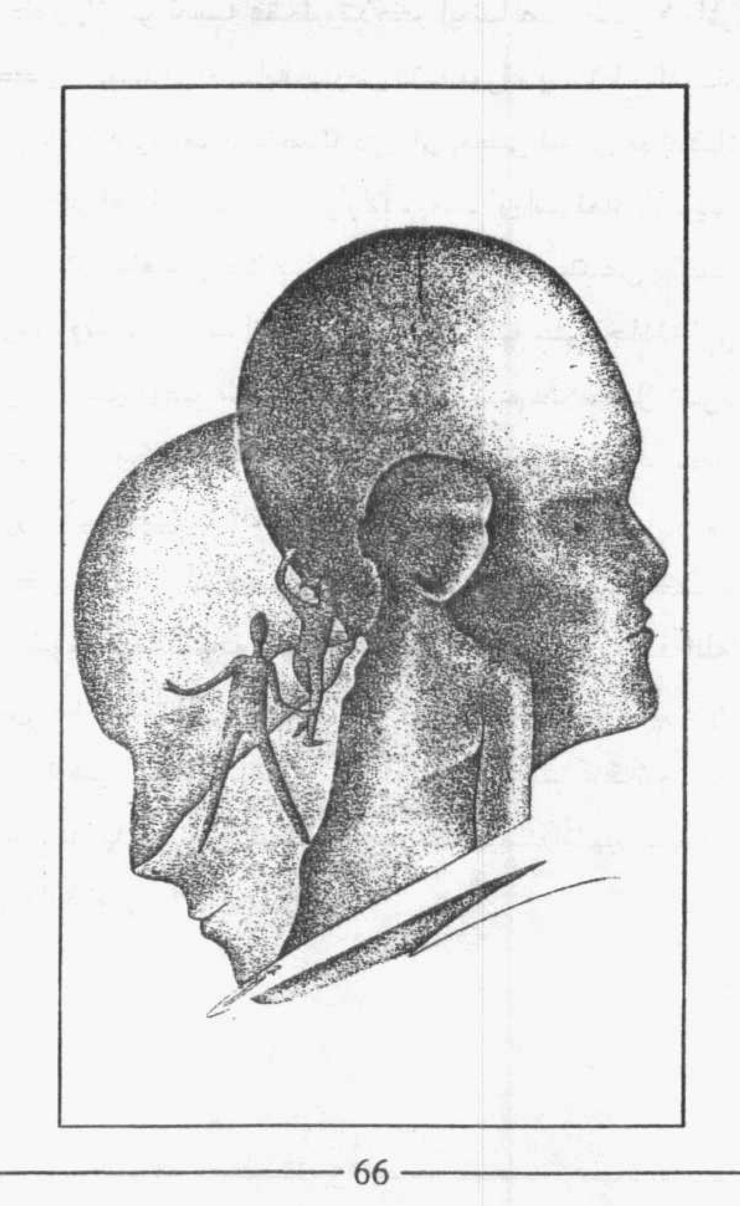
فقط فلم يكن لديه وقت لمتابعتهم فى دراستهم ومناقشة أرائهم ومعرفة أخبارهم كان كل ما يهمه هو جمع المال وتخرج الأولاد من الجامعة ومنهم من عمل معه فى المقاولات ومنهم من تخصص فى مجال آخر.

وكان همام يعمل بحماس أكثر فكلما زادت أرباحه عمل أكثر وبعد فترة نصحه أصدقاؤه بترشيح نفسه لعضوية مجلس الشعب عن الدائرة التي تخصه حتى يحمى هذه الثروة الكبيرة وحتى يستطيع ان يأخذ امتيازات أكثر ويحصل على أولوية عند تخصيص الأراضي الحكومية للمستثمرين وكان لا يهتم ببناء مساكن اقتصادية للشباب ولمحدودي الدخل كل ما يهمه هو المكسب فقد كان يؤمن بالمثل (أش يا خد الريح من البلاط) وأخيراً ها هو قد حصل على العضوية وأصبح لديه صوت فى مجلس الشعب وفى وسط هذا كله حدث ما لم يكن فى الحسبان فقد أصيب بجلطة فى المخ أصابه بشلل فى الطرف الأيمن وهرعت زوجته وأولاده إلى أحد المستشفيات الكبرى لعلاجه ؛ كانت حالته الصحية حرجة جداً ولكن بعد فترة نظراً للرعاية

الصحية المكثفة وملازمة زوجته وأولاده له طوال فترة مرضه مما رفع من حالته المعنوية وتم الشفاء وأخذ يداوم على جلسات العلاج الطبيعي والتدريب على السير حتى تحسنت صحته إلى حد كبير وخرج من المستشفى إلى المنزل وحوله أسرته.

جلس همام بعد أن شُفي من مرضه على كرسيه الهزاز وأخذ يستعيد شريط ذكرياته وما الذى قدمه فى حياته فلو أنه كان قد مات فبأي شىء سوف يقابل به ربه فهو لم يكن يواظب على الصلاة وكان كل همه هو المكسب والمكسب فقط ولم يفكر مرة فى معاونة أى محتاج كل ما كان يقوم به هو أداء فرض الزكاة ولكن هذا فقط لا يكفى وتذكر أنه قد قام بفصل أشخاص كثيرين يعملون عنده ولم يكن مؤمنا عليهم وذلك لشعوره بأن حاجته لهم فى العمل لم تعد كما كان سابقا وتذكر أيضا أنه قد فاز بمساحات شاسعة من الأراضي لكي يبنى عليها مساكنا منخفضة التكاليف للشباب وللأسر الفقيرة ولكن بالرشوى والتحايل قام بتحويلها إلى إسكان فاخر فهو لم يكن

يفكر إلا فى نفسه فقط وتذكر أيضا عم حنفي فراش مكتبه عندما أصابه مرض فتاك ولم يستطع القيام بواجباته فى العمل ففصله دون أن يعطى له أى مكافأة وتذكر إهماله لزوجته وأولاده بعد أن استعاد شريط ذكرياته قام مفزوعاً من على كرسيه واستدعى زوجته وأولاده وأخذ يتحدث إليهم بلطف ويعتذر لهم على تجاهله لهم فى الماضي ووعدهم بأنه سوف يعوضهم عن كل شىء وأخبرهم بمخططاته المستقبلية فسوف يقوم ببناء مسجد ودور للأيتام وبيت للمسنين وسوف يخصص قطعة أرض يملكها لبناء مساكن لمحدودي الدخل بأسعار التكلفة وسوف يخصص مبالغ شهرية لمائة أسرة فقيرة فهو يحمد الله على نجاته من المرض الذى كان إنذار له جعله يغير من أسلوبه فى الحياة فالتف حوله أولاده واحتضنوه قائلين له الحمد لله يا أبى على شفاءك وعلى تصميمك لتغيير أسلوب حياتك فالعبرة دائماً بالخواتيم.



السلم من أوله

استيقظ د. عمر مبكراً وأخذ يعد نفسه للخروج بسرعة بعد أن أيقظ زوجته وأيقظ ابنه تامر فاليوم هو اليوم الدراسي الأول لـ"تامر" فقد التحق بالمدرسة بالصف الأول ووجد الفرحة والابتسامة مرسومة على وجه "تامر" فاليوم هو أول يوم دراسي وكعادة الأطفال يكونون فى منتهى السعادة أول يوم وتقل السعادة تدريجياً وبعد أسبوع أو أكثر يتم إيقاظهم بصعوبة.

ركب "تامر" السيارة مع والده وذهب إلى المدرسة ثم عاد الدكتور عمر من المدرسة ذاهباً إلى عمله بالمستشفى الحكومي وهو فى الطريق أخذ يسترجع ذكرياته وتذكر أول يوم وهو ذاهب إلى المدرسة وتذكر فرحة أمه به وقد اشترت له جميع الأدوات المدرسية من أقلام وبرايات وأساتيك وألوان خشب وخلافه وتذكر الفرحة الكبيرة التي كان يشعر بها أول يوم وتذكر عندما عاد من المدرسة ووجد أمه تبتسم له ابتسامة كبيرة سرعان ما تحولت إلى غضب واضح عندما أخبرها أن

بحقيبته ثقب كبير أدى إلى ضياع كل الأدوات منه واستمع وهو يبكى لتوبيخ أمه ولم يستطع أن يرد عليها فالمدرسة حكومية وكان ذلك فى منتصف الستينات وكان كل شىء ملك للدولة وكانت المدرسة تستقبل تلاميذ من كل الأوساط ولم يكن أحد يهتم بغيره وكان المدرسون والمدرسات يتميزون بالصرامة وكل منهم يحمل عصا أو مسطرة لتأديب التلاميذ وكان التلاميذ بالصفوف الأعلى أصحاب سطوة على نظرائهم بالصفوف الأدنى أما بالنسبة للتلاميذ المتميزين الذين يلقون معاملة حسنة من زملائهم والمدرسين كانوا إما أصحاب مال أو تفوق دراسي أو إجادة تامة لإحدى الألعاب الرياضية أو الموسيقى كالعزف على العود أو البيانو أما بالنسبة للدكتور عمر فكان لا يمتلك أى واحدة من هذه الأدوات فهو من عائلة بسيطة ولديه خمسة أخوات من البنين والبنات كل ما يجيده فقط هو إجادة لعبة كرة القدم إجادة تامة مع تفوقه الملحوظ فى اللغة العربية وقواعد النحو والصرف وكانت عربيات الحمص الشامي والمكرونة والدوم والتسالي تنتظر التلاميذ عند الخروج من المدرسة وكان "عمر" ينظر بحسرة إلى المأكولات المعروضة فالعين بصيرة واليد قصيرة كما يقولون وكان " عمر" يحاول

تعويض النقص لديه بمحاولة الاجتهاد فى الدراسة والتفوق الرياضي وسنة بعد سنة أصبح من التلاميذ البارزين بالمدرسة وأصبح معروفا عند ناظر المدرسة وعند جميع المدرسين أما فى المنزل فالحال لم يختلف تماما عن المدرسة فعمر كان الطفل الرابع فى الترتيب فى الأسرة وكحال الأسر المصرية البسيطة دائما كان الأكبر والأصغر فقط الذين يجدون عناية فالأكبر بسطوته ونفوذه على أخواته الأصغر منه والأصغر بتدليل أمه له فكان عمر كثيرا ما يتمارض لعله يجد بعض الحب والحنان من والديه أثناء مرضه مع تناول المأكولات والمشروبات اللذيذة التي يحبها ولا يتناولها فى الظروف العادية وتذكر "عمر" نفسه وسط أقرانه فى المنطقة التي يسكن بها وكيف كان مميزا بينهم بل كان هو القائد فكان يجيد كل الألعاب الشعبية فى ذلك الوقت فكرة القدم ولعبة البلى والسيجا وكل الألعاب الموجودة وكان يتفوق على الجميع فيها مما اكسبه بعض الشعبية وأضاف له السطوة فاعتبروه زعيما لهم وتذكر عمر فى ذلك الوقت أن الأطفال يتباهون بملابسهم أمام بعضهم البعض فحرص حرصا شديدا على الظهور فى أناقة تامة على الرغم من ضعف إمكانياته وكان يدخر أى قرش لديه ويحرم نفسه من

أى شىء حتى عندما يكون وسط أقرانه حتى لا يكون الأضعف فقد كان معتزا بنفسه لأقصى حد وتذكر عندما انتقل للمعيشة من منطقة إلى منطقة أخرى قريبة من عمل والده وتذكر مدى الحزن الذى أصابه وقتها فقد تعود على الحي الذى يعيش فيه وأصبح له أصدقاء كثيرين وكان يحب المدرسة التي التحق بها فقد كان فى فصل المتفوقين وكان فى فريق الكرة بالفصل ومرشح بأن يلعب بفريق المدرسة وتذكر عندما انتقل للسكن فى الحي الآخر وكان من الأحياء الراقية وأخذ يكون صداقات ومعارف جديدة أخذت منه وقتا كثيرا ولكن إجادته لكرة القدم ولألعاب الأولاد ساعدته فى أن يستعيد عرشه وأصبح له أصدقاء كثيرون وساعده تفوقه فى الدراسة وحصوله على الشهادة الإعدادية بتفوق على أن يلتحق بمدرسة عريقة كون فيها صداقات أكثر وأكثر وكان محبوبا وسط زملائه. وكانت هذه الأيام من أسعد الأيام التي مر بها فى حياته فالأصدقاء كثيرون والتفوق فى الدراسة كان واجبي وأصبح له كلمة وسطوه فى المنزل بعد أن أثبت تفوقه وأخيرا حصل على الشهادة الثانوية والتحق بكلية الطب ووجد نفسه فى عالم أخر فالدفعة كبيرة تصل إلى ما يقرب من ألف طالب ووجد أنه ليس

بالتفوق فقط يستطيع أن يحقق أحلامه . ويصبح ذو شأن بل هناك الواسطة والأهم من ذلك هو أبناء الأساتذة الذين كان لهم الخيار الأول فى أن يعينوا بالكلية نوابا ومعيدين فأصبح شخصا أخر ولم يهتم بالدراسة على الوجه الأكمل كان كل ما يهمه هو أن ينجح فقط وبعد أن تخرج من الكلية رأى أن بعض زملائه ممن لا يملكون الواسطة أو أبناء الأساتذة قد حققوا أحلامهم وعينوا بالكلية لأنهم لم يهتموا بما يتردد من زملائهم بالكلية واجتهدوا فى التحقيق حتى حصلوا على التقديرات العالية وتذكر أيضا عندما عمل غرفه بشقته بعد أن تزوج عيادة وكان حظه رائعا فكان لديه مرضى من المصريين ومن جنسيات خليجية وأصبح له دخل معقول كان يدخر منه وعمل فى أكثر من جهة حكومية وخاصة وفتح عيادة فى حي شعبي وتذكر عندما كان يناقش رسالة الماجستير التي لم تعجب مناقشيه لأنه كان قد أخرجها على عجل حتى يحصل على الدرجة ويسافر إلى إحدى الدول العربية كي يعمل هناك ليحقق أحلامه ويوفر لأسرته حياة رغدة وتذكر "عمر" كل ذلك بعد أن أودع ابنه المدرسة وتمتم فى نفسه الله يعينك يا "تامر" فالمشوار طويل وها أنت قد بدأت الآن أول خطوة فيه .

وتذكر "عمر" التزامه الدينى فى ذلك الوقت ولهفته على حضور الندوات الدينية ومحاولته لحفظ وتفسير القرآن مما عصمه من اللهو والعبث وانحراف بعض الشباب..

وتذكر "عمر" أيضا عندما واتته الفرصة للالتحاق بفريق الناشئين بالأندية الكبرى ولكنه رفض ذلك فى الوقت وندم بعد ذلك لما آل إليه حال لاعبى كرة القدم من شهرة ومال.

وتذكر "عمر" مدى حرصه هو وأصدقائه على مشاهدة جميع أفلام الكاراتيه والتى كانت ظاهرة فى ذلك الوقت وكل منهم يحلم بأنه يكون "بروس لى" آخر.

وتذكر "عمر" حبه الشديد لنادى الزمالك وحرصه على حضور تدريب الفريق الأول وكأنه يشجع اللاعبين بضراوة وكان يحرص على ممارسة بعض الطقوس التى يمارسها من قبل عندما فاز الزمالك على منافسه الشرس ليتكرر الفوز.

إياك والشيشة

استيقظت "فتحية" على صوت سعال زوجها "بيومي" كالعادة فمنذ أكثر من عشرين عاما وهما متزوجان تستيقظ فى نفس الوقت وعلى صوت سعاله ولكن فى هذه المرة طالت فترة السعال فصاحت فيه فى استنكار قائله له عليه أن يوقف نفسه عن تناول الشيشة بإفراط لأنها السبب فى ذلك السعال وإذا استمر على ذلك فسوف يقتل نفسه نظر إليها زوجها "بيومي" وسكت ولم يرد وكان "بيومي" يملك مخبزا فى حي القلعة وكان ينتج العيش البلدي وكانت الأمور تسير على ما يرام فإنتاجه من الخبز كان جيدا وكان يراعى ضميره فلم يكن يغش فى وزن الرغيف ولم يكن يخلطه بأي شيء من الردة أو غيرها وكان من المخابز القليلة جدا التي لم تتلق أى محضر وكانت سمعته حسنه جدا وكان كثير من أصدقائه أصحاب المخابز الأخرى يحرضونه

علـى غـش الرغيـف مـن ناحيـة الـوزن والجـودة حتـى يـزداد مكسبه ولكنه كان يرفض تماما قائلا لهم بأنه راضٍ تماما عن أحواله وأنه يكتفي بالربح القليل الحلال لأنه فيه البركة وأنه لا يريد أن يدخل على أولاده أى قرش حرام فقد كان لديه خمسه أولاد وبنات فى مراحل التعليم المختلفة وكان يعيش فى مستوى معقول خالي من الرفاهية ولكن فى النهاية كان يحمد ربه تماما ،وجلس "بيومي" يسترجع ذكرياته وهو يدخن الشيشة على كرسيه المفضل وتذكر عندما قدم إلى القاهرة وهو طفل صغير فى التاسعة من عمره فقد أحضرته أما من إحدى قرى محافظة الشرقية ليلتحق بالعمل مع قريب لها يعمل فرانا عند والد "فتحية" زوجة "بيومي" وتذكر "بيومي" وقتها نظرة الإشفاق التي رآها من صاحب الفرن عندما رآه وهو طفل صغير يريد أن يلتحق بالعمل بالمخبز على الرغم من مدى المشقة التي يلاقيها عمال المخابز وذلك لأن أمه لم تكن تستطيع أن تنفق على ابنها وأرادت أن يتعلم صنعه تعينه فى المستقبل وفى نفس الوقت تدر عليه وعليها دخلا يعينهما على المعيشة وتذكر أيضا مدى تفانيه فى العمل

ومدى رغبته فى تعلم الصنعة بأسرع وقت وتذكر تحمله للإهانات والصفعات من العاملين الأكبر منه فى الفرن وخاصة قريبه الذي أتى به إلى المخبز وتذكر "بيومي" نفسه عندما كان يعمل طيلة النهار والليل ولم يتغيب فى يوم عن المخبز حتى الأعياد والأجازات لم يسافر فيها إلى القرية وكانت أمه هي التي تحضر لتطمئن عليه وتراه وتأخذ راتبه لتنفق منه جزءا وتدخر الباقي له مرت السنون وأصبح بيومي محترفا فى المهنة وأصبح يجيد خبز العيش وتسويته وكان محبوبا جدا من زبائن المخبز نظرا لبشاشة وجهه واستقامته وعينه صاحب الفرن رئيسا للعمال ثم مدير للمخبز بعد أن رأى فيه الرجل الذي يعتمد عليه وفى أحد الأيام شعر صاحب المخبز بوعكة لازمته الفراش لمدة شهر أو أكثر وكان بيومي يزوره يوميا وبصفة مستديمة ويحضر له الإيراد الذي لم ينقص مليما بل قد زاد وكان صاحب المخبز وزوجته أم "فتحية" يستقبلانه بود وترحاب وكانت "فتحية" بنتا صغيرة لم تتجاوز السابعة عشر إلا بأيام قليلة وكانت تقدم له الشاي والقهوة وكان عندما يراها ينظر لأسفل من الخجل

وأحيانا كان يختلس النظرات إليها دون أن يشعر أحد وعندما تتلاقى عيناهما يتورد وجهها خجلا وحياء وكانت زيارة "بيومي" اليومية لمعلمه صاحب الفرن من أحلى اللحظات عنده فسوف يرى "فتحية" وسوف يشرب الشاي من يدها وكان قلبه يدق بعنف بمجرد أن يدق على الباب لزيارة معلمه ومرت فترة المرض واستقبله "بيومي" بترحاب بالغ وأن كان قد شعر ببعض الحزن لأنه لن يري "فتحية" ثانيا إلا صدفة وتملكته مشاعر الحب ناحية "فتحية" وأصبح دائما يفكر فيها وكان دائما زائغ العينين وزبل وجهه وانطفأت فرحته وغابت الابتسامة التي كانت تزين وجهه ولاحظ معلمه ذلك فسأله أكثر من مرة وكان "بيومي" يرد عليه قائلا بأنه ليس أكثر من مجرد إرهاق ومما زاد من آلامه أنه كان قد سمع من بعض العاملين بالفرن لأن ابنته "فتحية" يتوافد عليها العرسان يريدون ودها والارتباط بها وكان ذلك يزيد من آلامه وكان يفكر كثيرا ماذا لو تقدم للمعلم وطلب منه يد فتحية فهو يشعر فى قرارة نفسه بأن مستواه أقل كثيرا منها وأنه فى النهاية عامل لديهم وماذا لو عرف المعلم رغبته فى الارتباط

بابنته وغضب على جراة "بيومي" على طلب يديها وطرده شر طرده فيكون قد خسر كل شيء ولن يري فتحية إلى الأبد وأخيرا استجمع شجاعته مرددا المثل "لأصابت لاثنين عور" وأخبر معلمه برغبته الدفينة وكانت المفاجأة الكبرى عندما وجد معلمه والابتسامة تملأ شدقيه بعد أن كان متوهما بأنه سوف يغضب منه ويطرده عندما يعرف طلبه ثم تحدث إليه معلمه وأخبره بأنه قد طعن فى السن وأنه يريد أن يطمئن علي ابنته الوحيدة "فتحية" وأنه لن يجد أفضل منه زوجا لابنته فهو يراقبه من زمن ورأي فيه الإخلاص والأمانة فشعر بيومي بسعادة بالغة واحتضن معلمه من شدة الفرحة وأخذ يده ليلتهمها فسحب معلمه يده مستغفرا الله وأمره أن يذهب بسرعة ليعد نفسه للزواج وتذكر كل ذلك وفى النهاية تذكر توبيخ فتحية له فى الصباح لإدمانه الشيشة فأبعد الشيشة عنه ورماها فى وسط الطريق مرددا بينه وبين نفسه ألا تستحق فتحية بعد كل ما فعله أبوها من أجلي أن أطيعها ولو مرة واحدة فى سبيل مصلحتها؟



الولد الصالح

نحن الآن فى شهر يوليو عام 1971 وكان الطقس شديد الحرارة وكان كثير من الناس قد أخذوا الزاد والزواد وسافروا للإسكندرية أو رأس البر لكي يهربوا من حر العاصمة ، كان عم "دسوقي" يمتلك حانوتا صغيرا للبقالة والمرطبات وكان لا يعمل لديه غير عامل واحد فقد كان الشغل ضعيفا وعلى أى حال فدخل المحل يكفيه على متطلبات الحياة البسيطة وكان يفتح المحل صباحا ثم يغلق الساعة الثانية ثم يعود ويفتح فى الساعة الخامسة مساء حتى الساعة الحادية عشرة وكان عم "دسوقي" كالساعة فهو لا يتغيب عن المحل أبدا وليس له بديل ، فتح "عم دسوقي" دكانه وجلس أمامه ينتظر الزبائن بعد أن كنس رصيف المحل ثم قام "دسوقي "برش الماء فى الشارع أمام المحل كي يهدىء من حرارة الطقس وفى نفس الوقت كان يحمل منشة

بيـده يحـارب بهـا الـذباب الـذى ينتشـر فـى فصـل الصـيف وكثيرا ما تراه فى حالة حنق وهو يحارب الـذباب فقد كـان حاد المزاج وكان يتعامل مع زبائنه بطريقة هات وخد بدون أى ابتسامة علـى وجهـه وكـان يـرفض التشـكيك تمامـا ويرفض أى نقود ممزقة أو عملات شبه ممسوحة كان هذا هو حال عم "دسوقي" وقد تعود النـاس على أسلوبه وكانت ابتسامته لا تظهر أبدا إلا عندما يأتي موظف البلدية يسأل عن أوراق المحل فيسرع " عم دسوقي" إليه حاملا فى يديه زجاجة باردة من المياه الغازية مقدمها إليه والابتسامة تملأ وجهه تفاديا لأى مخالفة يحررها له موظف البلدية .

كان "عم دسوقي" متزوجا من "عواطف" وله ثلاثة من الأولاد والبنات وكان حاله فى المنزل لا يختلف تماما عن العمل فهو دائما متجهم الوجه كثير الشكوى وكان الأولاد يدرسون فى مراحل التعليم المختلفة وأكبرهم كان "مجدي" وهو يدرس بكلية التجارة وكان بارا بأبويه ويلتزم العذر دائما لوالده فالحياة صعبة والغلاء طاحن ومحل البقالة الذى يمتلكونه صغيرا ودخله لا يفي بمتطلبات الحياة إلا بالكاد ،

وفى أحد الأيام رجع "عم دسوقي" إلى منزله مبكرا وكان يشعر بآلام شديدة فى صدره ولا يكاد يقوى على المشي أو الوقوف فهرعت زوجته نحو ابنه "مجدي" الذي بدوره أجلس والده على السرير وخلع له ملابسه وقام بإحضار الطبيب على الفور الذى قرر نقل دسوقي إلى المستشفى لأنه يعانى من جلطة بالقلب وهناك فى الرعاية المركزة ظل مدة ثلاثة أيام ثم انتقل إلى غرفة عادية ونصح الطبيب المعالج مجدي بأن دسوقي يحتاج إلى راحة تامة فهو الآن فى وضع مرضى حرج و لا يقوى على العمل ، طمأن مجدي والده وأخذه إلى المنزل وترجاه أن يستريح تماما فقد أدى دوره فى الحياة وعليه أن يعتمد عليه فسوف يقوم بإدارة الدكان بجانب دراسته، وابتسم عم دسوقي لحديث ابنه وأعطى له مفاتيح دكانه وشعر بتأنيب لضميره لقسوته على زوجته وأولاده خاصة بعد أن شعر بحبهم الشديد له أثناء مرضه، ذهب مجدي إلى دكان والده وفتحه وهاله أن رأى قلة المعروض من الأصناف وتآكل أرفف المحل وحالة الثلاجات السيئة وتمتم فى نفسه قائلا ما أصعب التركة وصمم بينه وبين نفسه على التغيير

أخذ مجدي يقوم بتجديد أثاث المحل بالجهود الذاتية وقام بإعادة طلائه وتغيير الثلاجات وملء المحل بالبضاعة وذلك بعد أن تعاونت معه أمه وقامت ببيع الذهب الذى ترتديه وكان مجدي يتميز بالبشاشة وكان يجيد الحديث وقد شعر زبائن المنطقة بالتغيير وتهافت عليه الناس وكان يؤمن بأن الربح القليل خير من الكثير لأنه يؤدى إلى زيادة البيع وكان لا يتبرم من النقود القديمة ويتسامح مع العملاء إن لم يكن لديهم نقود فيعطيهم البضاعة منتظراً النقود لوقت آخر لحين ميسرة ؛ ذاع صيت مجدي وأخذ الناس يأتون إليه من الأحياء المجاورة وضاق المحل عليه فاشترى محلين بجانبه لتوسعه محله وكان يبشر والده بالأخبار الجميلة أولاً بأول واشترى شقة واسعة بنفس الحي فى عمارة جديدة وتحسنت أحوال الأسرة وقام برد مصاغ أمه 3 أضعاف وأخذ معه أخوه الأصغر ليشاركه فى التجارة خاصة بعد أن قام بافتتاح محل أخر فى منطقة أخرى وأنشأ مخزنا للجملة واستمر النجاح من محل لمحل حتى أصبح لديه سبعة فروع منتشرة بأحياء القاهرة المختلفة ولم ينس مجدي فى حقبة عمله أن يستكمل دراسته

فقد حصل على بكالوريوس التجارة وتزوج فتاة من أسرة طيبة وقام بتزويج أخته الصغرى من شاب على خلق ويعمل مهندساً وقام بتجهيزها على أعلى مستوى فكان لا يتوانى فى عمل الخير فهو يؤدى الزكاة فى مواعيدها ويتبرع للمستشفيات ودور الأيتام وكان دائماً يحاول أن يعرف ما هو جديد كي يطور تجارته ثم أتت ظاهرة السوبر ماركت فى أواخر الثمانينات فقام بافتتاح محل كبير يزيد عن الألف متر يواكب العصر واشتهرت محلاته بالجودة والسعر وحسن معاملة الزبائن وأنشأ شركة لتوزيع المواد الغذائية على المحلات الأخرى بأسعار معقولة وكان إذا عرف أن أحد التجار قد تعثر يهرع إليه ويقف بجانبه كي يستقبله من عثرته فهو يحب الخير ويؤمن بأن الشمس تشرق للجميع حتى صبيان المحلات عندما يشد عودهم كان يقف بجانبهم إذا أرادوا أن ينفصلوا عنه للقيام بعمل خاص لهم وكان يساعد المريض حتى يشفى ويقف بجانب عماله الذين يريدون الزواج .

أخذت تجارة مجدى فى الازدهار وزادت الفروع إلى خمسة عشر فرعاً ثم قرر أن يعمل فى مجال الاستيراد وأصبح يجلب

المواد الغذائية من الخارج ويبيعها فى السوق المحلى بسعر ينافس وأصبح من أثرياء القوم وأثبت أن للتعليم دوراً كبيراً فى الحياة لأنه استطاع بما تعلمه أن يطور محل والده البسيط إلى صرح تجارى كبير يتحدث عنه كل الناس.

حاسب وناسب

كان المقهى بالشارع الرئيسى بالحى الشعبى يعج بالناس وكان المعلم توفيق صاحب المقهى جالساً على كرسيه بمكتبه فى أخر المقهى وكان يقوم بإحضار النقدية وقراءة اليومية ليتسنى له معرفة أرباح مقهاه وكانت المقهى تعج بمرتاديها من مختلف الطوائف فكانت لها شعبية ضخمة نظراً لموقعها واتساع مساحتها وعدم غلو أسعار المشاريب والشيشة وكان "خميس" جرسون المقهى فى قمة النشاط والحيوية فهو يمر على اكثر من مائدة ويحفظ طلبات الزبائن مهما كثرت وكان يتميز بالبشاشة فقد كان دينامو المقهى وهو قد حصل على دبلوم التجارة المتوسط وفضل العمل فى المقهى بدلا من الوظيفة الحكومية لأن دخله فى يومين أو ثلاثة من المقهى يعادل مرتب شهر من الوظيفة وقد وثق به المعلم توفيق وقام بتسليمه مفاتيح المقهى؛

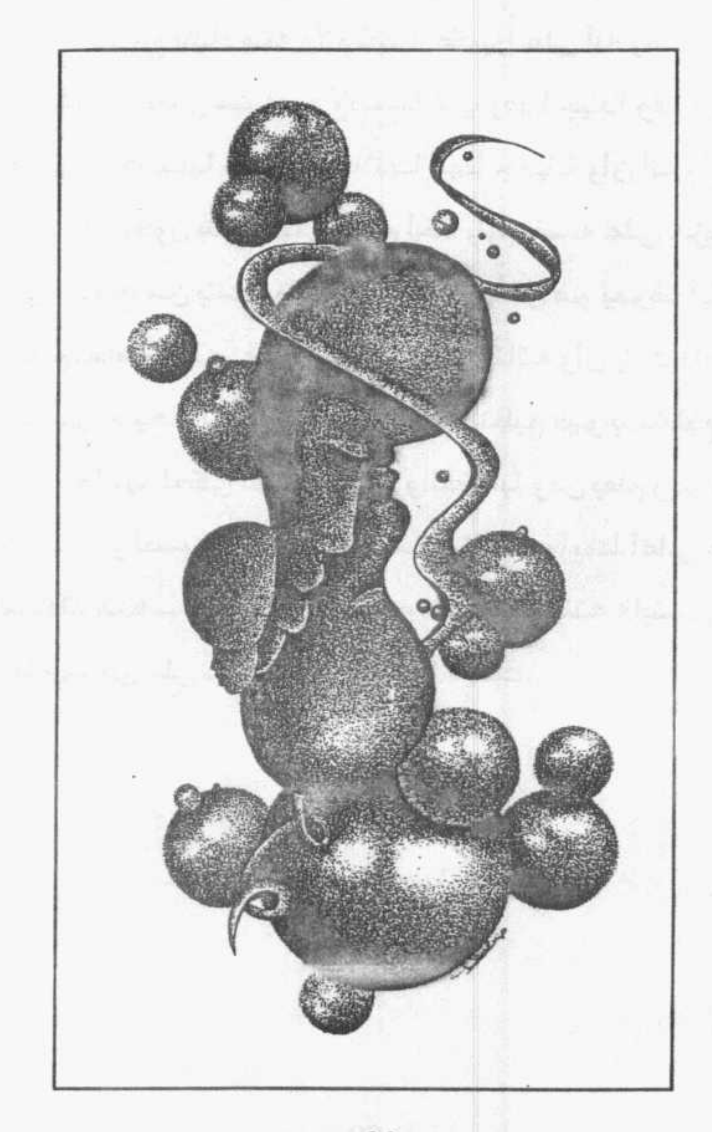
كان المعلم توفيق متزوج من بدرية وقد أنجب منها بنتين ولم يلحقهما بالمدارس خشية عليهما وكان يتمنى فى قرارة نفسه أن يزوج الكبرى لـ"خميس" لأنه قد لمس أمانته وأخلاقه الطيبة كما أن "خميس" شاب متعلم بالنسبة لابنته وقد فاتح خميس أكثر من مرة مستترة حتى يحفظ ماء وجهه ولكن "خميس" كان له رأى أخر فهو يريد فتاة متعلمة حاصلة على شهادة متوسطة مثله وكان يتظاهر بأنه لا يفهم شيئاً من تلميحات معلمه فكان يعمل(ودن من طين وودن من عجين) وكان لا يهتم بالممتلكات التى يقتنيها معلمه فالمقهى كانت تدر أرباحا جيدة وكان المعلم توفيق يستثمر الزائد من إيرادات المقهى فى شراء بيوت قديمة بالمنطقة أو أطيان زراعية ببلده ؛ عموماً كانت الأمور تسير على ما يرام فالمعلم توفيق يتمنى فى قرارة نفسه شىء و"خميس" يفكر فى شىء آخر.

وفى أحد الأيام جاءت إلى المقهى فتاة جميلة وسألت خميس عن عنوان لأحد أقاربها يعيش بالمنطقة وكانت الفتاة ترتدى ملابس بسيطة ولكن من الواضح أنها كانت متعلمة

بعض الشىء وبمجرد أن رآها "خميس" انجذب إليها نظراً لجمالها ولم يدلها على العنوان فقط بل خلع ملابس العمل وذهب معها لتوصيلها إلى غايتها وفى الطريق تبادل الاثنان الحديث وأخبرته بأنها تعيش مع والدتها وزوجها بمدينة الإسكندرية لأن أباها كان قد توفى منذ سنوات وقد تزوجت أمها من بعده وهى غير مرتاحة معهما فى المعيشة فهى قد كبرت وقد لاحظت فى الآونة الأخيرة أن زوج والدتها ينظر إليها نظرات مريبة ويحاول أن يتحرش بها ولكن لم تكن تجرؤ على إخبار والدتها فهى متعلقة بزوجها إلى أقصى حد وكانت تخاف من بطشه فهو يتعامل مع والدتها بالسباب وأحيانا بالضرب ولم تكن تجرؤ على معارضته أو الدفاع عن نفسها فهو عائل الأسرة ومهما قالت لأمها فهى لن تصدقها أبداً أو لا تريد تصديقها فاضطرت إلى مغادرة الإسكندرية والذهاب إلى خالها للإقامة معه بمصر حفاظاً على شرفها وعلى مستقبل أمها مع زوجها ؛ استمع "خميس" لقصة الفتاة بإنصات تام ووعدها بأنه سوف يكون نعم الصديق والرفيق وأنه تحت أمرها فى أى وقت

فابتسمت ابتسامة عابرة وشكرته وانصرفت ثم بعد فترة
قصيرة جاءت لزيارته فى المقهى ثانية وقام بتوصيلها وتعددت
الزيارات ومرة تلو مرة تعلق بها وأفصح لها عن مشاعره
للارتباط بها وكانت تقترض منه بعض النقود ولا تقوم
بإرجاعها وكان لا يهتم فالحب أعمى كما يقولون ثم أعطى
لها تحويشة عمره كى تدخرها له استعدادا لبيت الزوجية
وكان يعطيها كل مدخراته أولاً بأول وأخيراً قرر الذهاب
إلى خالها كى يطلبها منه فذهب إلى المنزل الذى كان يقوم
بتوصيلها إليه فسأل عنها وعن خالها فأخبره السكان بأنه
ليس هناك أحد بهذا الوصف فزادت دهشته بعد أن أخبرهم
بأوصافها فردت عليه صاحبة المنزل بأن هناك فتاة لها نفس
الأوصاف كانت مستأجرة عندها غرفة فوق السطح وقد
غادرت الغرفة وقد ارتاحت صاحبة المنزل وذلك نظراً لسوء
سلوك الفتاة لأن رجالا كثيرين كانوا يقومون بتوصيلها إلى
باب المنزل ومنهم "خميس" نفسه مما أثار استياء السكان
وكانت هذه صدمة كبيرة بالنسبة لخميس فقد ضاعت
تحويشة العمر وشعر بأنه خُدع وأن الفتاة قد قامت بالنصب

عليه واستولت على تحويشة عمره ومن يعلم لعلها كانت قد فعلت ذلك مع بلهاء مثله ولام نفسه كثيراً على أنه وضع كل ما يملك وأعطى مشاعره لإنسانة لا يعرفها جيداً ولا يعرف أصلها أو فصلها كل مؤهلاتها أنها جميلة وأن الزواج لا يجب أن يكون بتلك الطريقة ثم أخذ يلوم نفسه على عزوفه على الزواج من بنت معلمه فهي على الأقل هو يعرف أباها ويعلم تماما مدى غيرة والدها على بناته وأن بنت المعلم الكبيرة مليحة الوجه وإن كان على التعليم فهو يستطيع أن يقف بجانبها لكي تتعلم القراءة والكتابة ومن يعلم ربما مع الإصرار والصبر تحصل على شهادة مثله وربما أعلى من شهادته فذهب مهرولاً الى معلمه طالباً يد ابنته فابتسم له المعلم ووافق على طلبه وقال له أخيرا فهمت.



رب ضرة نافعة

كانت الجلبة سيدة الموقف فالجميع يعمل بهمة ونشاط فالكل كان يتسابق فقد اقترب ميعاد تسليم البرج السكنى التجاري لملاكه وكان المهندسون والعمال حريصين على إنهاء العمل فى ميعاده أن لم يكن قبل الميعاد وكان العمال من نجارين مسلح حتى العامل الذى يحمل قصعة الأسمنت فى حماس واضح وكان عمال البناء يبدأون العمل من الخامسة صباحا بعد أن يتناولوا إفطارهم الذي يكون غالبا من الفول والطعمية والجبنة والطماطم والسلطة مع تناول كوب أو كوبين من الشاي الثقيل وكان الطعام رائعا مع اللمة وبعد ذلك يبدأ وقت العمل وفى الساعة الواحدة ظهرا يتناولون طعام الغذاء وغالبا ما يكون مثل الإفطار مع إضافة البطاطس المحمرة والمسقعة وفى الساعة

الرابعة ينتهي العمل ويعود كلا منهم إلى منزله وعلى الرغم من قسوة العمل تجدهم لا يشكون أبدا منهم من قد تعود على العمل وقد أتى معظمهم من الصعيد إلى العاصمة حيث فرص العمل أكثر لأن البناء فى العاصمة فى حالة نهضة مستمرة وكانوا لا يقدرون على المكوث فى منازلهم ولو يوم واحد فكل قرش يعملون به فى حاجة إليه وفى وقت من الأوقات كانت هناك حالة كساد فى ميدان البناء وكان العمال وقتها يمرون بلحظات عصيبة وكنا نجدهم فى الميادين حاملين معداتهم البسيطة فى انتظار أى سيارة تطلب عمالا للبناء وكانوا يتهافتون على أى زبون ويتزاحمون عليه ويضحون بجزء من أجرهم فأي أجر يتقاضونه وقتها خيرا من لا شىء ، كان "هريدي" واحدا من هؤلاء وقد أتى من بلده وهى قرية صغيرة تتبع محافظة قنا فهو قد تزوج من بنت خالته "صابحة" فى سن الثمانية عشر عاما فالجميع هناك يتزوج مبكرا فهو يسكن فى دار الأسرة فيتناول الطعام معهم فكل شىء متوفر بدءا من الخبز والخضار حتى اللحوم فمنهم يربون الدجاج والبط والإوز على الأسطح وبمعنى أخر

ليس هناك تكاليف تذكر فى الحياة ولكن المشكلة تكمن فى قلة النقدية فالفلاحون لا يجدون النقود إلا من بيع المحصول أو بيع الماشية أو إذا كان أحدهم يعمل بالمحافظة أو إحدى المنشئات الحكومية فيحصل على راتب وأن كان ضئيلا فهو على أى حال يكفى المعيشة والسلام.

يحب عمله ويحرص على أن يكون ملتزما وكان راضيا بنصيبه ولم يكن يشكو أبدا من مشقة العمل أو قلة الدخل وكان يتقن عمله لأبعد درجة مما لفت نظر مهندس المشروع فقام بترقيته رئيسا للعمال مما ادخل البهجة والسعادة إلى قلبه واشتد حماسه فى العمل وزادت علاقاته وأدى ذلك إلى زيادة طموحاته فأصبح يحلم بأن يعمل مقاولا لحسابه الخاص ويتولى القيام بمشروع من الألف للياء ثم واتته الفرصة عندما لمس أحد العملاء جديته ونشاطه الملحوظ فأسند إليه مشروع بناء عمارة سكنية وقام هريدي ببناء عمارة سكنية فى وقت مناسب وكانت الخرسانة المسلحة ومستوى التشطيبات على أعلى مستوى فاسند إليه بناية أخرى ثم ذاع صيته فى فترة وجيزة

جلس "هريدى" مع نفسه وتذكر عندما أتى من بلده وزوجته فى يده وكان يرتدى جلبابا قديما لا يملك غيره وقد جاء للقاهرة ليس بهدف أن يعمل فى مجال البناء ولكن كان حلمه أن يقوم بالعمل بوابا لإحدى العمارات فقد كان هناك أكثر من عشرة أفراد من قريته يعملون بمجال حراسة العمارات وخدمتها وكان عندما يأتون لزيارة قريتهم كانوا يحملون الكثير من خيرات الله من أطعمة وملابس وأدوية وهدايا لأقاربهم وكان معظمهم قد اشترى أرضاً وقام بالبناء عليها بالمسلح وأصبح حلم كل شباب القرية أن يصبحوا مثلهم وتذكر عندما ذهب إلى أحد أقاربه ليساعده على إيجاد بناية ليقوم بالعمل عليها ولكن قريبه قابله بجفاء وسخر منه فهو لا يريد أن يرى أحداً مثله وأخبره أنه كان يريد العمل فعليه أن يشتغل بالأعمال الدنيا حتى يستطيع أن يعيش وعليه أيضا أن يقوم بتسفير زوجته إلى القرية ثانية لأنه لا يوجد مكان للبيات له ولها فالقاهرة مزدحمة باختصار أصبحت الدنيا مظلمة فى وجه "هريدى" بعد حديث قريبه معه وقرر العودة هو وزوجته إلى بلدهما وفى طريق العودة

وجد إحدي قطع الأراضي الفضاء ووجد هناك عمالا ومعدات يقومون بحفر الأرض فذهب وسأل أحدهم أن كانت هناك فرصة عمل فأوصله الأخير بدوره إلى مهندس المشروع الذى قابله وأخبره بأنه يريد خفيرا يسهر على الأرض وعلى الأجهزة الخاصة بالمشروع وأنه سيوفر له ولزوجته حجرة صغيرة يبيتان فيها ففرح هريدى ووافق على الفور ومع الوقت ولأنه يحب الحركة والعمل طلب من المهندس أن يعمل معه فى مجال البناء فبدأ أولا فى خلط الأسمنت وحمل القصعة ثم مع الوقت تعلم البناء وبعد فترة أصبح من المحترفين تذكر كل ذلك وشعر بالامتنان نحو قريبه بعد أن كان ناقما عليه فلولا مقابلته الجافة لما كان هناك هريدي المقاول المعروف واخذ يتمتم فى نفسه بالآية الكريمة التي تقول (**وعسي أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم**).

الفهرس